ما تبقى من الأرض

اسم الرواية : **ما تبقى من الأرض**

اسم المؤلف: **ياسمين سيد**

تدقيق لغوي: **ريهام الغنام**

تصميم الغلاف: **عبد الرحمن محمد**

إخراج داخلي: **ساندي شريف إبراهيم**

رقم الإيداع : **٢٠٢١/٢٢٦٣**

الترقيم الدولي: **٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٠٤٤**

جميع الحقوق محفوظة للناشر اى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

إبهار
للنشر و التوزيع

Email ebharpuplishing@gmail.c-m

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

ياسمين سيد

ما تبقى من الأرض

(ما لم تسرده السير ولا يعلمه البشر، وقد أخفاه التاريخ)

إبهار
للنشر و التوزيع

إهداء إلى :

إلى تلك النفس التي أبت الاستسلام والخضوع، إلى كل نفسٍ كانت تخور قواها وما زالت صامدة، إلى كل نفسٍ خيرة، إلى كل نفسٍ لم تبخس مقدار أحد أو فعل أحد، إلى تلك الروح الكامنة بداخل نفوسنا، إلى من تحمل المصاعب وتخطى الشدائد، إلى كل كربٍ قد أعاننا على فهم الحياة وعلمنا وعلم بنا، إهداء إليكِ.. أيتها النفس..

المقدمة

لا يعنيني إن كانت المقدمة تخدم المحتوى أم لا، لكن أرغب أن يصل إليك المعنى الذي تحمله السطور، أحيانًا يقودنا العقل إلى أن نتخطى ما بعد حدودنا، لندخل آفاق عوالم أخرى، بعضها يشبه عالمنا هذا وبعضها مُختلف عنا، ودومًا كعادةٍ بشرية، نسخط على الذي نمتلكه، فنسخط على العالم الذي نحيا به، وحينما نجد عالمًا آخر مُختلفًا به ما نريد من تحررٍ وهروبٍ من القيود التي تحكمه ويتسنى لنا فرصة عبوره، فلا نتردد، ونهجر عالمنا ونذهب مهرولين نحو الجديد، دون تفكيرٍ في أن لكل شيءٍ جديد، اللذة والمتعة والبريق والشغف لاكتشافه، وبعد خمول الشغف وانطفاء هذا البريق، يصبح كل ما كان يُبهرنا في البداية مُعتادًا ومُقيدًا، وبعد ضياع العالم الذي كنت تنتمي إليه وسَلب إرادتك، تجد نفسك لم تعد تنتمي لأي شيء، الفارق بين العوالم هو أنت ومتطلعاتك ورغباتك التي لا تتناسب مع طبيعة

عالمك لتبحث عن مكانٍ آخر، تظنه الصواب لكن يحجب بريقه الرؤية عنك، فتغفل عن قوانينه لتجد نفسك قد أصبحت عبدًا..

إن ما ستجده هُنا، لا يتعلق بأي شيء، ولا يمتُ للواقع أو للحقيقة بأي صلةٍ كانت، وإن حدث ترابط بين أي شيءٍ مما نعيشه، فليس إلا من محاولات معيشتنا فقط، كل شيءٍ هُنا عبثي ووهمي، وإذا وجدت حقيقة، فقد بُنيت عليها آلاف من الأكاذيب، ولن ألومك إذا مللت من كثرة ثرثرتي، فلا بأس، اترك هذا الشيء من يدك، وإن لم يصبك الملل، فسأضطر إلى الثرثرة معك كثيرًا، أتعلم أنني أكره ثرثرتي حتى مع الأوراق؟!

لكن أريد أن أعلم شيئًا منكَ وباستطاعتك الإجابة حتى إن لم أكن أمامك، فسأشعر بها...

أتحسب نفسك على درايةٍ بكل ما يحدث في تلك الحياة؟! إذ كنت على درايةٍ بما يحدث في عالمك، فإنني أومن حق الإيمان بأنك لم تعلم عن العوالم الأخرى شيئًا، أو تعلم معلومات قليلة، ليست المعرفة الكاملة..

أأنت على يقينٍ حقًّا بأن حياتك تلك، أنت وحدك من تعيشها؟!

لمَ لم تفكر لثوانٍ بأن يكون هناك أحدهم يعيش الحياة ذاتها لكن بشكلٍ وهيئةٍ مُغايرة؟!

الظاهر لك بأنك وحدك من تعيشها بكل حذافيرها، ولكن هناك من يُلازم كظلك، حتى ظلك وجوده مؤقت، لكن من يُلازمك وجوده دائم..

وإذا كُنت على يقينٍ من هذا، فمن أين قد أتى لك؟!

أتعلم من العدو الأعظم لبني البشر؟!

ما يُدريك أن الخطر الذي يمثله العدو الذي تظنه للبشر أعظم من الخطر الذي يمكن أن يمثله الإنسان على العدو نفسه؟!

نحن البشر مخيرون، ونعلم ذلك جيدًا، فلمَ حينما نتبع أهواء من لا يُتبع، نزعم أن الخالق هو من أوقعنا في أفخاخه، وأننا لم نفعل ما فعلناه بمحض إرادتنا؟!

أكان لنا إرادة حقًّا فيما نتبعه؟!

من العدو فينا؟ هو أم نحن؟!!!!!

هذا الكتاب بما يحتويه، قد يُزعج الكثير من المجموعات التي تُنصب نفسها آلهة لتُحاكم البشر، لا يتركون الأمر للخالق، بل يُكفرون ويحكمون وينفذون أحكامهم دون ولايةٍ أو تكليفٍ من الخالق، التكليف قد نزل على الأنبياء والمرسلين والصالحين من بعدهم، وقد ولوا وبقيت سُننهم وسيرهم، وقرآنه وأحكامه هي التي تُتبع الآن، ولم يعد بيننا صالحون، الآن غدا الجميع فاسدًا، يتظاهر بالصلاح والاستقامة، وفي داخله الخِسة والشر، يحكم على غيره بالنفاق والكُفر، وقد يكون غيره هذا أفضل منه عند الخالق، لم يتركوا الأمر لرب السماء بل تحكموا فيما ليس لهم ولا يعنيهم، العلاقة بين العبد والرب فقط، لا يوجد طرف ثالث لكنهم لا يفهمون هذا،

يمارسون التشدد والترهيب، وهم يعلمون أن كل الديانات، لم يكن الترهيب بها، مادة أساسية بل كان الترغيب هو الأمر الأشد اهتمامًا بها، هو ربي، فلا دخل لكم بما بيننا، لمَ لا تتركونا وشأننا، يفعل خالقنا بنا ما يفعله، نعصي ونتوب، نخطئ ونستغفر، المرء رقيب على نفسه، والرب وحده الذي يحاسبه، إذًا إن المعادلة خالية منكم، أظن الأمر لم يكن أشد سوءًا من أنكم تتولون ما لم تولوا به، اتركونا بعبادتنا وأخطائنا وحياتنا وعلاقتنا بربنا التي لا دخل لكم بها، لا تتظاهروا بالفضيلة وأنتم تجهلونها ولا تعلمون عنها شيئًا، البشر أكثر بطشًا وأشد ضلالًا، ولا تحسبن الله غافلًا..

ما بين الخيال، وخلق من طين، وقلوب من نار، الجامع بينهم، الهوى وعلم الغيب...

ما أعلمه هو أنني قد مررتُ بأشياءٍ كثيرة حتى وجدتني هُنا.

ولن أخفي عليك قولًا، أكاد أجزم بأنني لم أعد طيبًا، ولكني غدوت أكثر حُزنًا، أكثر هوانًا.

رأسي يرتطم بشيءٍ من حائط الذكريات الموجعة، أكاد أشعر أنه سينفجر، أفكر دون توقف، أظنني لن أقلع عن التفكير كما أنني لن أقلع عن التدخين، حديثي مُشتت ومُبعثر وغير مرتب مثلي تمامًا، الأمر يستمر في الهذيان ولا أفهم كل هذا العبث! إن مضادات الاكتئاب تزيد من حدة الاكتئاب، لا تنهيه، لكن استخدام المخدرات يسكنها قليلًا، وبعد أن ينتهي مفعولها التخديري على عقلك، يعود كل شيءٍ كما كان، غُرفتي لن تتغير، مصباحي لن يُضاء، نافذتي لن تُفتح، فلم أعد أريد فعل شيء، فقدت شهيتي تجاه كل شيء، وما عدتُ أبكي، أظن أن هناك جزءًا بداخلي ما زال كما هو لكن لا أعلم ما هو!

أظنني بحاجةٍ إلى صدر أمي، بحاجةٍ إلى الظلام...

تعلم أن للبشر مهارات ومميزات عديدة، وأننا بنو البشر أعظم ما صنع الله كما يقولون، لكني لي وجهتي الخاصة في ذلك الشيء، فإن الله خلق الكثير والكثير، وإن كُنا أعظم مخلوقات على حد بعض الأقاويل، فلقد غدونا أكثر بشاعة وأشدُ بطشًا من سائر المخلوقات، لذا فإني أقول بأننا لسنا أعظم مخلوقاته حتى وإن كُنا...

الأمر لم يتعلق بطائفةٍ بعينها أو آراء أو مجموعة ظواهر، الأمر مُتعلق بما قد أصبحنا نُخفيه بداخلنا، أنت يا صديق، أترى الأمر على ما يرام؟!

أترى الأرض والبشر بأفضل حال؟!

إن لم تكن تمتلك إجابة الآن، فانظر إلى مرآتك قليلًا وتطلع جيدًا إلى وجهك وعينيك، حينها ستحصل على الإجابة بشكلٍ بديهي..

برأسي الكثير من الأمور التي لم أجد لها إجابات..

أيمكن للبشر أن يعيشوا في سلامٍ معًا؟!

ينعمون بالخيرات التي وفرها لهم الخالق، لِمَ دومًا طامعين فيما ليس لهم؟! يشتهون المُحرمات ويأخذون من المُحللات ما يُريدونه فقط..

الرب، الخالق، الإله، المعطاء، العظيم في مغفرته، والشديد في عذابه، لمَ لا يسعدون بما هو مسخر لهم؟!

أيمكن لهم أن يكفوا عن بث الفساد؟!

ألا يتمكنون من مقاومة الشر بداخلهم الذي يلتهم الأخضر واليابس، وحتى النفوس؟!

إن الأرض غدت بشعة إلى حدٍّ لا يوصف، ولا نعلم إلى أين سينتهي بنا المطاف!

كيف لكم أن ترشدوني إلى طريق الصواب، وكل الطرق عفنة برذائلكم وبطشكم؟!

ما عاد بإمكاني مقاومة كل تلك البشاعة، ما عُدتُ أنا، أريد الرحيل...

الثورة الشيطانية التي يستمدها من النفوس الضعيفة والعقول المريضة، والقلوب التي لا إيمان بها..

أتظن أن هناك علاقة بين ثورة الشيطان والثورات النازية والشيعية والحروب الدموية والفتن الطائفية، جميعهم أسباب وطيدة على جذور شرورنا التي يُمجدها لنا الشيطان بمصطلحاتٍ متنوعة.

أتعرف أين يسكن؟ أظنه تحت أقدامنا!

أيظن كبيرهم ومن اتبعه أنهم سَيُسيطران على العالم؟!

إنني أومن إيمانًا تامًا بأنه هو ومن اتبعه من عملاء، ومن معه من معشره، جعلوا الإيمان بمعتقداتنا أمرًا غير مُحبب وغير مرغوب به، وهيهات لمن صدقه واتبع أهواءه وسلك طريقه، إنه يكون على حافة الضباب والهلاك في الحياة الدنيا، والدار الأخرى.

كم أشعر بالشفقة عليه! إنه خاسر دومًا، بدايته طُرد من الجنة، ونهايته سيمضي بجهنم التي قد أُعدت له، ومن اتبعه وكل من خالف أوامر الإله،

إله السماء والأرض والخلق والجنة والنار والملائكة والأنبياء والتابعين، إله الحياة الدنيا والآخرة.

إذا رأيته، فأنت لست مخدوعًا، إنه حقيقي ويمكن أن تراه، فإن رأيته، استعذ منه ولا تجزع أو تُصيبك رهبة، فلن يضرك، عليك أن تُدرك إدراكًا تامًا أنك أقوى منه، وهو الضعيف الخائب الخاسر دومًا، فإذا شعر بضعفك، فسيمتص منه قوته لكن إذا شعر بصلابتك، فإنه سيخر أمامك...

هنا ستجد أُناسًا لم تعرفهم، ستعيش بينهم وبين نسيج حياتهم، أو يعيشون معك، أيهم أقرب؟ يمكن أن تجد نفسك واحدًا منهم، من الجائز حدوث هذا، لا يوجد بيننا بطل، قد تكون أنت بطل تلك الحيوات، وقد تكون فرعًا منها، لكن أريد أن أعلمك أنك لست بطلًا لحياتك..

يمكنك أن تبيع روحك بكامل إرادتك وأنت في ذروة قواك العقلية والنفسية، يمكنك أن تسعى إلى كل سبيلٍ، يجعلك تملك كل شيء، تملك ما أردت امتلاكه، وما لم ترده، تملك نفوس البشر، والتحكم بعقولهم وقلوبهم ومسارات حياتهم، كل تلك الأبواب، يتسنى لك فرصة لعبورها بكل سلاسةٍ دون أن تشعر أنت أو يشعر من تتسلل إليه، إنهم يعطونك كل ما شئت بلا حساب، من الجائز أن تكون لست مؤهلًا حاليًّا لرؤية نصفك الثاني الذي يُشاركك حتى أنفاسك، لكن لا تجزع، تعال إلى سطوري وستراني بها، امدد لي يدك وسألتقط روحك، لا ترتجف، إنني في انتظارك منذ أن خُلق الزمان، ادفع باب خوفك بقوتك التي تختزن بباطن روحك، ودعك من عالمك هذا الذي يملؤه الشر والدماء والعري والعُهر والتسلط

والفوضى والتقييد والظلم والبطلان والخوف، دعك من كل هذا الضجيج والصخب والزحام والعناء، وتعال إلى حيث السلام والوفاء والنعيم والقوة، بحوزتي الكثير لك، فلا تتركه، لقد تم اختيارك من وسط المليارات كي تناله وتحظى به، دع روحك وحررها من أغلالها التي قد قبضتها رغمًا عنها واجعلها تلقى مُستقرها في مكانٍ آخر مُغاير، تلقى به ما لم تلقاه بعالمك الدموي الفاسد، إنني أشتم رائحة عفنه التي قد فاحت، عالم به ظلمات تعلوها ظلمات، ولن ينجو، فيجب أن تنجو أنت بروحك منه، وتعال حيث يوجد كل النعيم..

أنا قناعك الذي تُخفيه وراء شخصيتك التي تتظاهر بها، أنا مُحررك ومُحقق لك جميع أمانيك، أنا معك وحولك منذ آلاف السنين، سنفعل ما يحلو لنا، ومتى يحلو لنا، إنها فرصتنا فاجعلنا نغتنمها، سأجعلك تُدرك ذاتك، تكتشف جميع ما تحويه بتمعن، أنت تراني الآن بأم عينك، تشعر بي بداخل جسدك الذي أزحف إليه بكل اليسر، سألتهم جميع مخاوفك وضعفك، لقد غدونا شيئًا واحدًا، ولن ننفصل مرةً أخرى، بكَ روحي وبي جسدك، بكَ قوتي وبي أمانيك، بكَ لهيبي وبي حُطامك الذي سأقوم بتضميده، أنا وأنت قد سرنا، نسلك الدرب ذاته، نستنشق الهواء ذاته، نحلق بالآفاق ذاتها، نحلم بالأحلام ذاتها، نحن غدونا واحدًا، غدونا أنا...

حكاية من التاريخ منذ آلاف الأزمان التي لم تُذكر، رجلٌ عجوزٌ، لن تتمكن من معرفة عمره، سقطت نصف أسنانه والنصف المتبقي لا يزال سليمًا، وبلحيته عدد من الشعيرات المتثنيات، نصف عارٍ في حمام.. (وهو أكثر الحمامات شرًّا ب....).

وكلمة (حمام) حينها كانت تعني البناء الإسلامي ذا الثلاث قاعات أو بيوت التي يتردد عليها الناس للاستحمام، يُحكى أن هذا العجوز، كان في بيت التسخين، وفي أحد الأيام، أتى شاب مفتول العضلات، وهذا العجوز ظل يترقبه ويترقب شروده لثلاثة أيام حتى أتيحت فرصة للتحدث معه، اسمه (موكران).. كان فارسًا صليبيًّا، أصوله يهودية، أخذ يتحدث معه عن الجرائم الشنيعة التي قد فعلها بحق نساء العرب، ووسط الحديث، سأله العجوز عما إذا كانت زوجته (موسرينا) على علمٍ بتلك الأمور!

فتعجب (موكران).. كيف يعلم ذلك العجوز ساكن الحمام اسم زوجته؟! فسأله، أجابه العجوز بأنها تعلم كل شيءٍ قد فعله، وكل فتاةٍ اغتصبها ومزق غشاءها تمزيقًا، كما تعلم مرضه ثم أخبره بأنه يسمعها تحكي لقبيلته عن حقيقته، ازداد الاستهجان والاندهاش لدى (موكران) وحينما سأله: من أنت؟!

أجابه:

إنني عملك القذر، أنا الوجه الأسود الذي تخفيه وراء قناع الفروسية والتدين.

صاح (موكران) وأمسك برقبة العجوز بعنفٍ واعتدل كل من بالحمام ليتطلعوا للفارس الصارخ الذي يمسك بالعمود الرخامي بجانبه، وحينما استفاق (موكران) وتطلع حوله، وجد الجميع ينظرون إليه ثم أعاد النظر إلى حيث وقف ذاك العجوز، فوجده عمودًا رخاميًّا ذا نقوش، جُن وظل يردد بأنه كان هنا، كان هنا عجوز، ولكن لم يره أحدهم، لم يره غيره..

أما (موسرينا) زوجة (موكران) فترى رؤيا مزعجة، تأتيها كل يوم، ترى عجوزًا بأسنانٍ مُدغدغة، يطوف بساحة القُبة، وفي منتصف الساحة، تجد (موكران) يُضاجع فتاة سمراء مقطوعة الرأس، وسيفه بجوار رأسها..

روح تجري في بني آدم مجرى الدم، تأتيها أفكاره وكأنها أمامه كتاب مفتوح، تُقلب صفحاته كيفما تشاء، بل أنها تنقش في أي صفحةٍ ما تُريد، يسهل عليها فعل أي شيء، تلتف على المرء كما تلتف الحية حول صيدها، إنه مجرد طيف...

ما زلتُ أعاني من الصداع، وكأن رأسي يرتطم بشيءٍ شديد الصلابة، ولا أعلم من أين يأتيني هذا الألم!

بدايةً من (جاردن سيتي)..

عائلة عادية، كانت تُقيم في منزلٍ من منازل أحد (بشوات) العصر الماضي في إحدى العمائر العتيقة، ذلك المنزل ورثته (أم الأم) عن أبيها (صالح باشا) وبعد انفصال الابنة (الأم) عن زوجها، انتقلت للعيش هي وأطفالها مع والدتها (علية هانم بنت صالح باشا زوجة رئيس بيه).

(عوّد) الأم..

كانت الفتاة المُدللة لدى عائلتها، فتاة حسناء جميلة، من عائلة ثرية قبل تدهور أحوالهم بعد انقضاء الملكية، كانت حياتها عادية بين تجمعات تلك العائلات والاحتفالات التي ما زالت متمسكة بتراث العائلات، لم يكن بحياتها شيء يُسبب لها أي مُعاناة أو متاعب بل أن كل شيءٍ مُسخر لها...

(حامد) الأب..

كان شابًّا مولعًا بالقراءة والكتب إلى حدٍّ يفوق الجنون، أجداده كانوا أيضًا من (بهوات) العصر الماضي، لكنه كان من الفرع الفقير، لم يقم باختيار أي شيءٍ بحياته، كل ما بحياته يفعله بإجبار، عدا اختياره لـ (عوّد) زوجة له، فهذا الأمر لم يُجبر عليه بل فعله بمحض إرادته، وبأمرٍ من الهوى..

(يحيى) الابن..

هو الابن الأكبر لـ (عوّد) و(حامد).. يبلغ من العُمر اثنين وعشرين عامًا، حينما حدث الانفصال وتفككت الأسرة، كان في العاشرة من عمره، وهذا الانفصال قد ترك أثرًا سلبيًّا بداخله، ظل معه طوال حياته..

يدرس (يحيى) بكلية الإعلام جامعة.....

متفوق جدًّا في دراسته، ولم يكن اجتماعيًّا، وأظن أن هذا سبب تفوقه لأن الاجتماعيات تُهدر الوقت وتُشتت الذهن، وتجعل التفوق والدراسة من الأولويات المؤجلة، لا يمتلك أصدقاءً سوى جاره (مينا) وبحكم أنهما في المرحلة العُمرية نفسها، جمعتهما دروس الثانوية العامة، وكان (مينا) شخصًا مرحًا، قام باقتحام انطوائية (يحيى) وأجبرته شخصيته المرحة على التعلق به، لكنه لم يستطع تجاوز عزلته، إلا أن ذلك لم يغير من طبيعة (مينا) فلقد كان يكنُّ لـ (يحيى) الكثير من الحب، لذا فكان يتقبله كما هو بشخصيته المُعقدة الكئيبة الانطوائية، لم يفر أو ينفر منه، ولم يكن يعاتبه على أي تقصيرٍ يبدر منه، لم يفعل أي شيءٍ من لومٍ وعتاب، وأظن أننا

جميعًا بحاجةٍ إلى شخصٍ كهذا، شخص لا يُعاتبنا عن غيابنا، ويتفهم تقلباتنا النفسية، ويُحررنا من أي قيدٍ يُقيدنا.

لقد شغلنا (مينا) قليلًا عن (يحيى).. كان وما زال (يحيى) يرى أن أباه هو من تسبب في تفكك تلك الأسرة، وسخط عليه سخطًا شديدًا، كان يمتنع عن زيارته حتى حينما يأتي إليهم (حامد) لزيارتهم بموجب حُكم الرؤية، كان يأبى مُقابلته حتى انقطعت أخباره منذ أربع سنوات..

(توليب) الابنة..

الابنة الصغرى، يسبقها (يحيى) بثلاث سنوات، كان يُلقبها أبوها بـ (الملكة توليب) ملكة قلب أبيها، فتاة جميلة ذات بشرة خمرية، تحمل دفء الملامح المصرية، لم ترث العرق التُركي مثل (يحيى).. عيناها كانتا محلًّا للفتن، رموشها سوداء كحيلة، تجعلك تُفتن بها، تدرس بمعهد الموسيقى، وعكس (يحيى) تمامًا أو كما تقول (عوّد) دومًا: "تُشبه أباها."

اجتماعية ومُحبة للناس وللعلاقات، كما أنها كانت الأقرب لأبيها، وخصوصًا لأنها (آخر العنقود).. كانت تتواصل معه دومًا حتى انقطعت أخباره..

لا يجب أن نترك الظروف تتحكم بمصيرنا وتُحركنا كالدمية، تفعل بنا ما تشاء، إن أرغمتك الظروف على مُسايرة أحداثٍ مؤلمة، فيجب أن تجعل تلك الظروف في صالحك، لا تجعلها تؤثر عليك بالسلب، تحت طوع الظروف أنت مُخير...

١٤ يناير عام ٢٠١٦..

قد نُشر في جريدة الأهرام خبرًا عن اختفاء رجلٍ في مُقتبل العقد السادس من العُمر، واصطحب الخبر صورة تُسهل العثور عليه، ويجب لمن يتعرف إليه، أن يتصل بهذا الرقم الذي اصطحب الخبر..

(يحيى): يعني إحنا بقالنا أربع سنين، أربع سنين بندور عليه، وهو إيه يعني؟ فص ملح وداب مش فاهم! سافر يعني ولا عمل مصيبة فاتسجن ولا حد قتله مثلًا؟

(توليب): يبعد عنه الشر بس يا (يحيى) متقولش كدا والنبي، أنا فاكرة كويس قبل ما يختفي بأسبوع، كان هنا وشكله مُجهد بشكل مش طبيعي، وكان قلقان ومتوتر بس محكليش حاجة، ولما سألته قالي أنه الضغط مش مظبوط اليومين دول، هو أكيد حصله حاجة.

- أيوة يعني حصله إيه؟ مهو على يدك، دورنا وسألنا في كل مكان، من مستشفيات لأقسام لعشوائيات للمشرحة، وخال (مينا) سأل وباباه ومفيش أي حاجة ولا يعرف عنه حاجة، وكأنه لا اتولد ولا عاش في البلد دي بقاله ستين سنة، ولا كأنه كان موجود أصلًا.

قاطع حديثهما جرس الباب، فاتجه (يحيى) ليرى من هُناك..

- أستاذ (يحيى حامد عبيد)؟

- أيوة أنا، خير!

- حضرتك أنا مُحضر، معايا قرار إزالة لبيت (حامد عبيد الجابري) في حي باب النصر، ودا إخطار ولازم حضرتك تستلمه وتروح تستلم حاجاته قبل الإزالة.

- قرار إزالة! لبيت مين؟؟

- لبيت (حامد عبيد الجابري) مش حضرتك ابنه؟

- أيوة بس (حامد) معندهوش بيت في باب النصر.

- والله أنا معرفش، حضرتك هتستلم الإخطار ولا لأ؟

- لأ هستلمه أكيد، بس معلش البيت دا فين؟

- هتلاقي العنوان مكتوب عندك في الإخطار.

- تمام شكرًا.

- العفو، تحت أمرك.

خرجت عليه (عوّد) مُتسائلة عن تلك الورقة التي يُحدق بها، فنظر إليها مُتسائلًا:

- هو (حامد) عنده بيت في باب النصر آيل للسقوط؟

- بيت إيه؟! هو ساب شقة الدقي واشترى بيت؟!

- مش عارف، بس المُحضر قالي إني لازم أروح أستلم حاجاته وأفضي البيت قبل الإزالة.

- وهتروح؟

- أكيد، لازم أعرف إيه حوار البيت دا، أنا هروح بُكرة.

نرحل ونترك خلفنا أمورًا قد تُسبب بعض المتاعب لمن حولنا، تمر بأحداث حياتنا أحداث تُعيد ترتيب كل شيء، إن الحياة ليست ثابتة ولا البشر قواعد ثابتة، فكل شيءٍ قابل للتغير، تلك الدنيا ما هي إلا عبث، عبث نعيشُ به، لا نفهمه لكننا نستوعبه ونتعايش معه، الشيء العبثي لا يُفهم ولكن تعيشه..

أحد الأيام الينايرية..

السماء بها غيوم، والطقس مائل للبرودة، ضجيج وصخب وأجواء عبثية بأنحاء الجامعة، أجساد مُتحركة مُتمثلة في هيئة مجموعات مُتفرقة، المجموعة والواحدة تُسمى (شلة).

ترى في جانب مجموعة مُنتقبات، يُلازمهن فتيات يضعن غطاء الرأس، يمرحن قليلًا بشكلٍ مُهذب دون لفت انتباه أحدٍ لهن، ويسجلن كتابة محاضرة الدكتور (عماد).

وفي جانبٍ آخر، ترى جماعة من الشباب والفتيات الذين يدعونهم (اتحاد الطلبة) لمساعدة الطلبة في أي مشكلةٍ تواجههم لكنهم لا يفعلون شيئًا سوى الجلوس بالمقهى أو المكتبة، وتبادل الضحكات.

وهناك جماعة أخرى من الشباب الذين يقفون ليقطعون طريق هذه بكلمة، ويتلذذون بالنظر إلى جسد إحداهن والتمعن بصدرها وخصرها، وما إلى ذلك.

وجماعة أخرى من المُغتربين أو طلبة الأرياف الذين لا يفعلون شيئًا سوى الذهاب إلى المُدرج، ومن المُدرج إلى المقهى، لا أكثر.

وغيرهم كثير من الجماعات، ومن وجهه نظري التي إذا لم تُقنعك، فهي تُقنعني ولا أعلم إذا كنتُ سأحاسب عليها أم لا، لكنني أرى أن الجامعة مجرد مكان اجتماعي (ملهى نهاري) مُلتقى الأصدقاء والعُشاق، والمرح تحت مُسمى تعليمي فقط دون إيجاد أي فائدةٍ لهذا الصرح الضخم، لكن اجعلنا نُنهي ذلك الأمر حتى لا ننجرف بعيدًا عن موضوعنا (إذا كنت أنت يا من تقرأ هذه السطور، تجد أن الجامعة ملاذ للعلم فقط، ولها إفادة تعليمية، تُقدمها للطلاب، فحينها سأعترف بأنني أخطأت وسأتراجع عن رأيي).

تناول (يحيى) هاتفه بعد أن أخذ يبحث عن (مينا) في أنحاء الكلية، ولم يجده..

- آلو، إنت فين ياض مش هتبطل صرمحة؟

- عم المُحترم المؤدب، أنا موجود يا ابن الناس ورا كلية آداب كدا.

- بتعمل ايه ورا آداب يا مييينا؟!

- قاعد باخدلي دروس تقوية.

تعالت ضحكاتهم..

- طيب يا عم كوكو الضعيف أنت، سيب اللي ف إيدك كدا وتعالالي، أنا عند باب الجامعة، هنروح مشوار ساعة كدا لحد باب النصر.

- **باب النصر، إشمعنا؟**
- **إخلص بس، أنت لسه هترغي، أنا هستناك قدام باب الجامعة بالعربية.**
- **سيدي يا سيدي، هي عليا هانم رضيت عنك.**
- **خلص يا ظريف، مستنيك**

"جميعنا متضررين من الدنيا"

خرج (مينا) من الجامعة، وصعد إلى السيارة بجانب (يحيى).. تلك السيارة ذات الطراز القديم التي ورثتها (عَليا) هانم (الجدة) من والدتها (شفيقة هانم المانسترلي) أجمل جميلات جاردن سيتي..

اتجها إلى باب النصر، وفي طريقهما إلى هناك، طلب (يحيى) من (مينا) أن يتصل بوالده لأنه يُريد رأيه في شيءٍ ما بحكم أن والد (مينا) هو مُحامي تلك العائلة منذ سنوات، وبالفعل قام (مينا) بالاتصال بوالده ثم أعطى الهاتف المحمول لـ (يحيى)..

- إزاي حضرتك يا أنكل!

- بخير يا (يحيى) نُشكر الرب، يا بني يعني تكون ساكن معانا في نفس العمارة ومشوفكش، دا اسمه كلام! لا أنا واخد على خاطري والله.

- حقك عليا يا أنكل بس والله المُذاكرة بس واخدة وقتي جامد، هعدي على حضرتك يوم الخميس وأغلبك عشرتين طاولة.

- ماشي يا عم المُعيد، ولا يهمك، المهم أنت بخير، ويا رب صاحبك يفلح فلاحتك.

- هههههههههه هو فالح أوي من غير حاجة، دا بروفيسور.

- أيوة عارف عارف.

- المهم يا أنكل، أنا محتاج أقول لحضرتك حاجة، امبارح جالنا مُحضر ومعاه قرار إزالة لبيت في باب النصر، بيقول إنه بيت (حامد) والمفروض إني رايح على هناك دلوقتي وأشوف إيه الدنيا هناك بس الحقيقة مش فاهم، ماحنا كنا بندور عليه من أربع سنين، ليه مظهرلناش البيت دا وليه ظهر دلوقتي؟!!!!!!

- طيب يا (يحيى).. ابعت لي العنوان بالظبط وأنا هقابلكوا هناك وهعمل مكالمة كدا لواحد في الحي هناك وهرجع اتصل بيك.

- ماشي يا أنكل.. شكرًا جدًّا.

انتهت المكالمة ولم ينتهِ التشتت بداخل رأس (يحيى)..

سأل (مينا):

- إيه حوار البيت دا؟!

- والله يا بني ما اعرف، هو حوار من ضمن حواراته.

- طيب اهدا، دلوقتي نعرف إيه الدنيا، المهم عارف مين سألني عليك!

- (فريدة)؟

- انت مخاوي يلا، عرفت منين؟!!

- انت حمار يا (مينا).. مبدئيًا أنا معرفش غيرك، فأكيد محدش هيسأل عليا غير انت أو هي، وبما انك معايا تبقى هي.

- دماغ شغالة مش بتنام والله، المهم عرفت لك أن الأكونت اللي دخل عمل عليك حوار الأسبوع اللي فات مكنتش هي.

- عارف من أول لحظة إن مش هي.

- وحياة امك لما أنت عارف، خدت واديت معايا في الحوار ليه؟!

- كنت عارف إنك هتروح تسأل (زينب) والكلام هيوصل لـ (فريدة) وأنا عايز أوصل لـ (فريدة) ان طريق وصالي مقطوع، أنا أصلًا ماليش طريق.

- يعني دا اسمه كلام يا جدع، طيب ما كنت ترسيني على الحوار بدل ما تشتغلني كدا.

- كان لازم متكونش عارف عشان تدخل على (زينب).. لو كنت عارف كانت (زينب) قفشتك إنك بتشتغلهم.

- مش بقولك دماغ شغالة مش بتنام، أاااااااخ منك أنت و(زينب) بس طيب فري.....

- (مينا).. انت عارف الحوار منهي، أنا ماليش في الشغل دا ولا بحب العلاقات ولا بحب الناس، وانت عارف، لولا أنك فضولي ورخم وبتفرض نفسك، كنت زماني لوحدي من غير لا صاحب ولا غيره.

- هههههههههه بتحبني أوي أنا عارف.

- هههههههه أيوة أوي أوي حقيقي، بس عارف بعيدًا عن أي هزار، أنا عارف إن لما ربنا بيحط حد في طريق حد، دا بيبقى نوع من أنواع الرزق، وانت رزق حلو في الدنيا يا (مينا) ورغم كل حاجة، أنا فعلًا ماليش غيرك، وانت مش مجرد صاحب.

- انت عارف إن قلبي مُرهف ودمعتي قريبة، هههههههه.. يا (يحيى) رغم الزحمة اللي حواليا بس أنا والرب مطلعتش من الدنيا دي كلها غير بيك يا صاحبي.

قاطع حديثهما جرس الهاتف المحمول..

(صاحب البيت يرن.....)

قال (يحيى):

- هات أنا هرد، والنبي يا جدع غير اسم أبوك دا، هههههههه.

- هههه لا مش هغيره.

- آلو يا أنكل، ها خير!

- أنا كلمت الراجل يا (يحيى) وقالي إن مفيش بيوت هناك باسم (حامد عبيد) وكمان مفيش...

- مفيش إيه يا أنكل؟!!!!!!!

- مفيش قرار إزالة خرج من الحي بخصوص أي بيت يا (يحيى).

- يعني إيه مفيش يا أنكل؟!! أنا اللي مستلمه امبارح ومعايا صورته، يعني إيه مفيش قرار؟!!!!

- هو دا اللي الراجل قاله، ولو كان فيه كان عرف، عمومًا أنا قربت على هناك، هستناكوا.

ثم أُغلق الخط وبدأ الحفل بداخل رأس (يحيى).. جموع من الأسئلة، تدور في فلك عقله، أسئلة لا نهاية لها ولا إجابة..

ما زال رأسي يتآكل من آلام الصداع..

وصلا إلى حي باب النصر، ولأن الشوارع ضيقة بعض الشيء، لم يُسمح أن يدخلا بالسيارة، فتركاها بجانب رصيف بالشارع الرئيسي وترجلا بحثًا عن المنزل، سألا الناس، فكانت الإجابة:

- مفيش حد ساكن هنا بالاسم دا.

هذه كانت الجملة الموحدة التي سمعاها من سُكان الحي.

فقال (مينا):

- انت متأكد يا (يحيى) ان البيت هنا؟!

- يا بني مش هنا باب النصر، وأدي صورة القرار بس المشكلة أنهم مش كاتبين رقم البيت مثلًا ولا أي حاجة.

- طيب تعالى نستنى بابا على القهوة دي لحد ما يجي.

اتجها إلى المقهى، وبعد أن جلسا، جاءهما (القهوجي) مُتحدثًا بجملته:

- أؤمرني يا باشا.. تطلبوا إيه؟

سأله (مينا):

- بقولك يا صاحبي، متعرفش حد هنا اسمه (حامد عبيد الجابري) وهو ليه بيت هنا؟!

- (حامد).. عندنا الحاج (حامد أبو أيمن) بس دا مات من تمن سنين، معرفش غير أنه اسمه (حامد أبو أيمن).

- تمن سنين، لأ يبقى مش هو اللي إحنا بندور عليه.

- خير يا باشا، انتوا مباحث؟

أجاب (يحيى):

- لا مش مباحث ولا حاجة، بس اللي بنسأل عنه دا والدي، والمفروض أنه ليه بيت هنا، جايله قرار إزالة.

- إزالة.. لا يا باشا، إنتوا بتدوروا في الحتة الغلط، المنطقة دي كلها مفيش أي حاجة فيها ولا أي بيت فيها جايله إزالة.

رد (يحيى) و(مينا) في صوتٍ ثُنائي:

- نعم؟؟!!!

- أيوة والله زي مابقولك كدا.

أشعر بشيءٍ غير منطقي في ذلك الأمر، فأين (حامد) الآن حتى يُجيب على كل تلك المُهاترات؟ أيمكن أن يكون (حامد) قد استخدم اسمًا آخر غير اسمه؟ وإن فعل هذا، فكيف للقرار أن يأتي باسمه؟! وكيف يأتي ذلك القرار، ولا يوجد له منزل هُنا؟!

ما تلك المتاهة؟! ولِمَ أنا بها؟

سأل والد (مينا):

- إيه يا ولاد.. وصلتوا لحاجة؟

- وصلنا ايه يا أنكل، إحنا دخلنا برجلينا في متاهة، أنا مش عارف إيه التوهة دي، لما هو محدش هنا يعرفوا ومفيش أي بيت هنا آيل للسقوط، ليه يجيلي مُحضر؟ أنا مش فاهم!!!

- اهدا بس يا صاحبي، أكيد في حاجة غلط.

- أنا أعرف بيت (حامد) وأعرف (حامد) نفسه.

(قالها رجل مُسن، يجلس على ذلك المقهى، رجل كهل شِبه مُلثم، عينه اليمنى بها مكروه وصوته غليظ بعض الشيء، يمسك بيده عُكازًا يستند إليه)

قال والد (مينا):

- بتقول إيه يا حاج؟!!

- مسمعتنيش، جولت أنا أعرف بيت (حامد) وأعرف (حامد) نفسه.

كان يتحدث بنرةٍ صعيدية، ثم أكمل:

- واد يا كنكة، هاتلي المفتاح اللي في الصندوق عندك.

- حاضر يا عم (غريب).

ثم أحضر (كنكة) المفتاح وأعطاه لعم (غريب)..

قال (يحيى):

- أيوة طيب حضرتك تعرفه منين ومفيش حد هنا عارفه؟

- اصبر على رزقك، هتعرف كل حاجة دلوقتي.

ثم أشار لهم أن يتبعوه، ولم يتوقف ذلك العجوز عن الحديث لوهلة، لم يكن يتحدث عن (حامد) بل عن أشياء أخرى..

- الحي دا بقى يا أستاذ قديم وكل الجمال كان موجود زمان، وأنا روحي بتميل لجمال كل شيء قديم، تعرف في الحي هنا هتلاقي دفا متلاقيهوش براه، أنا بقالي فيه زمن وعمر، شوفت فيه كل الحلو وناسه جميلة أوي يا أستاذ...، ألا انت اسمك ايه؟!!

قالها قاصدًا بها والد (مينا)..

- اسمى (عيسى) ودا ابني (مينا) وأنا محامي عيلة (عَليا هانم) جدة (يحيى).

- الله (عيسى) عليه السلام، تشرفنا يا أستاذ (عيسى)، أنا عمك (غريب) طبعًا كلمة عم دي مش تعالي، لا حاشا لله، بس يعني سنك ميجيش قد سني، بس لو حابب تقولي يا (غريب) براحتك.

- لا مفيش مشكلة يا عم (غريب).

سأل (مينا):

- طيب ما تقولي يا جدو، انت عندك كام سنة؟

- أنا قد عمرك مرتين يا لمض.

ضحك الجميع عدا (يحيى) كان يزفر في ضيق، فاتجه إليه العم (غريب) قائلًا:

- قولتلك اصبر على رزقك، بلاش تاخد كل حاجة على أعصابك كدا بس عشان غلط.

تحدث (مينا):

- والله يا جدو، هو على طول متعصب وبيتنرفز من أقل حاجة.

قال (يحيى):

- استنى بس يا (مينا) أنا بس عايز أفهم إحنا ماشيين رايحين فين؟

أجاب العم (غريب):

- رايحين بيت أبوك إللي هيبقى بيتك.

- بيت (حامد) عمره ما كان ولا هيكون بيتي، ثم أنا أعرف منين إنك تعرفه صحيح، دي الناس كلها قالت إنها متعرفش حد بالاسم دا، فأنت الوحيد من وسط الناس دي كلها اللي تعرفه؟!

تحولت نبرة العم (غريب) من اللين اللي الصرامة ثم قال:

- إيه مستكبر تقول أبويا، يا شيخ يلعن دي تربية، وعمك (غريب) ما بيلعبش مع عيال صغيرة، فاضي أنا إياك ومفضليش غيرك أتسلى عليه، وأنا لما أقول كلمة تتسمع، لو كان أبوك عرف يلطشك قلمين، كان زمانك اتعلمت الأدب واتعلمت تتكلم مع الناس الكبيرة ازاي، وأيوة أنا الوحيد اللي أعرف (حامد).. عايز تيجي معايا تعال ومتفتحش بوقك بحرف، مش عايز يبقى تغور أحسن ويمين الله أبطحك بالعكاز.

فتدخل (مينا) محاولًا تهدئة الموقف قائلًا:

- وحد الله يا جدو كدا وصلي على النبي، هو ميقصدش، احنا بس من الصبح بنلف وتعبانين وأديك كنت قاعد وسامع، كنا كل ما نسأل حد يقول معرفش.

- ولا كنتوا هتعرفوا، عشان محدش يعرف (حامد) هنا، إنما يعرفوا الخديوي.

سأل (عيسى) مندهشًا:

- الخديوي! وهو الخديوي دا هو اللي هيدلنا على أستاذ (حامد)؟!!!!!!

- الخديوي دا هو (حامد) نفسه.

تعجب (يحيى) قائلًا:

- نعم! هو غير اسمه كمان؟!!

- متوجهش كلام ليا، عوزت حاجة قولهم يقولولي لكن لسانك ميخاطبنيش.

أكملوا سيرهم، كان يجب أن يتحمل (يحيي) ذاك العجوز لأنه الخيط الوحيد وسط تلك المتاهة الذي سيصلهم إلى (حامد) لكن إذا استعان (حامد) باسمٍ مُستعار، ولم يعرفه أحد باسمه الحقيقي، كيف جاء القرار باسمه الأصلي؟ وكيف لم يصدر الحي أمرًا بإزالة أي بُنيان، وقد جاء القرار؟! أمر صعب ومُحير، وهناك حلقة ضائعة..

ها لقد وصلوا إلى المنزل الخاص بـ (حامد) أو (الخديوي).. أخذوا يتطلعون عليه ويحدقون به، تبين أن المنزل شديد الصلابة، ليس به كسور أو شروخ أو مائل بعض الشيء أو تبتلعه الأرض بل كان صلبًا مُعتدلًا، لا يبدو عليه أي ظاهر من الظواهر التي تسمح لهم بإزالته، لقد كان بحالةٍ جيدة، إذًا ما السر؟!!

قال العم (غريب):

- أنا معايا نسخة المفتاح دي، كان (حامد) بيسبها معايا استبن بس يوم ما تعوزها وتنوي تقعد هنا يا محترم، هبقى أديهالك.

أجاب (يحيى):

- اطمن مش هعوزها ولا عمري عوزت من ناحيته أي حاجة.

- اسمع أنت تقبل على نفسك تتكلم عليه بلهجة مش اللي هي، انت حر بس دا نقص تربية، لكن قدامي مسمعكش تتكلم عنه بالطريقة دي، أنا حذرتك.. اللهم بلغت، اللهم فاشهد.

فحاول (مينا) ووالده تهدئة الأمر بينهما.

ثم أمسك العم (غريب) بالمفتاح، وفتح أمامهم بابًا، لا يعلمون ما يخفي وراءه! ثم اجتازوا ردهة صغيرة وفُتح باب آخر، البيت به أثاث قديم، طرازه قديم، به (ديكورات) تجعلك تشعر بأنك تسير في أحد طُرق الحُسين، يتبين من هوائه أنه على الناحية البحرية، أخذ (يحيى) و(عيسى) و(مينا) يتجولون بالبيت ويتفحصون الغُرف، يحدقون بكل ركنٍ به، كان البيت يحتوي على ثلاث غُرف مُتفرقة، في الجهة اليمنى كانت غُرفة الجلوس، تحتوي على طاقم مُدهب حقًّا، يخطف الانتباه، أمامه منضدة صغيرة، عليها توضع (سيبرتاية ومُعدات كاملة للقهوة) بجانبه (جرامافون) متوسط الحجم، يحتضن مجموعة أسطوانات لـ (أم كلثوم، عبد الوهاب، عبد المطلب، صالح عبد الحي، فايزة).. لكن الأتربة تملأ المكان، والأثاث لم يكن مُغطى بأي شيءٍ حتى يُحمى من تلك الأتربة والغبار.

في الجهة اليسرى، الغرفة التالية، غرفة صغيرة الحجم، يبدو من هيئتها أنه كان يتخذها مُصلى (بها مُصحف ومسبحة ومبخرة وسجادة) ومقعد من (الأرابيسك) الفاخر، يبدو أنه نُقش عليه شيء، كان يتمعن بتلك الغرفة (مينا).. فاقترب قليلًا نحو الكرسي حتى يستطيع قراءة ما كُتب عليه، فوجد كأن هناك من كان يجلس على المعقد منذ قليل، فعلامة الجلوس مطبوعة على الأتربة الموجودة على سطح مقعده، أخذ يصيح مُناديًا (يحيى) ووالده حتى هرولا نحوه ودلفا إلى الغرفة، سائلين:

- ايه اللي حصل؟

فسألهما (مينا) بتوتر:

- محدش فيكوا دخل الأوضة دي قبلي؟!

أجاب (عيسى):

- لا أنا مدخلتش.

وقال (يحيى):

- ولا أنا، في إيه؟!

تعجب (مينا) قائلًا:

- الكرسي من شدة التراب اللي عليه بيعلم فيه أي حاجة، المهم إني قربت من الكرسي أحاول اشوف اللي منحوت عليه، لقيت زي ما يكون في حد كان لسه قاعد وهدومه مسحت التراب اللي عليه، ففكرتكوا دخلتوا قبلي ولا حاجة.

تحدث (عيسى) محاولًا إزالة الشك:

- لا مدخلناش، بس ممكن يكون عم (غريب).

أكد (يحيى) استنتاجه قائلًا:

- ممكن يكون تعب وقعد؟

فقال (مينا) دون اقتناع:

- بس إزاي واحنا كنا سايبينه برا، وكل واحد فينا دخل على أوضة على طول.

أجاب (عيسى):

- يمكن كان موجود هنا قبل ما احنا نيجي، بحكم إنه معاه المفتاح، تعالوا نسأله.

صاح الثلاثة باحثين عن العم (غريب) الذي كان معهم قبل قليل، لكنهم لم يجدوه، أخذوا يتطلعون إلى بعضهم البعض حتى قال (يحيى):

- هيكون مشي؟

تحدث العم (غريب):

- لا ما مشتش، ومش أنا اللي قعدت على الكرسي ولا دخلت البيت قبلكوا.

سأل (مينا):

- انت كنت فين يا عم (غريب)؟

- مكنتش في حتة، أنا بس اتحصرت وعندي السكر، فمتحملتش وروحت لغاية الحمام بس كنت سامعكوا.

كان (يحيى) يشعر أن وراء هذا الرجل المُريب شيئًا ما لا بد من معرفته، كان ينظر إليه نظرات شك، لا بد أن بجعبته أمرًا سيُفضح حتمًا..

قال (يحيى):

- طيب عمومًا حد وهو بيدور لقى حاجة؟

أجاب (عيسى):

- أنا دورت في أوضة النوم، مفيش أي ورقة أو أي حاجة تدلنا على أنه البيت دا، بيت (حامد).

تحدث (مينا):

- وأنا تقريبًا بردوا ملقتش حاجة غير حوار اللي قعد على الكرسي دا.

قال العم (غريب):

- محدش كان قاعد ولا حاجة، انت لقيت حاجة يا (يحيى)؟

- لأ ملقتش حاجة.

- غريبة! مع إني كنت أعرف أنه بيشيل الورق بتاعه في دولاب أوضة نومه.

تحدث (عيسى):

- إحنا كدا مفيش حاجة هنا هنعملها، أنا رأيي نمشي وأنا هتصرف واشوف حوار القرار اللي جالك دا، أنا شايف إن البيت متين لا آيل للسقوط ولا أي حاجة.

قال (يحيى) مؤيدًا:

- أنا كمان رأيي إننا نروح، ملناش لازمة هنا.

تحدث العم (غريب):

- هتمشي يا (يحيى)؟ يعني مش عايز المفتاح؟

- لا مش عايزه لأني متأكد إني مش هاجي هنا تاني، وزي ما كان معاك في الأول خليه معاك، أصلًا البيت مهواش مطمع أوي يعني، شوية كراكيب ومفيش مجنون هيسرق كراكيب.

- طول عمري بقول أن تربية الحُرمة من غير راجل عاملة زي الإربة المخرومة مبتنفعش، شوية الكراكيب اللي مش عجبينك دول، أنت جاهل بقيمتهم، والبيت مش مطمع ومحدش يستجري يجي جمبه عشان الخديوي كان حبيب الكل، ومفيش شنب هنا يستجري يخدش البيت خدش كدا بقلم، البيت محمي يا (يحيى) مش محتاجك.

ابتسم (يحيى) ابتسامة صفراء وكأنه يُنذر بوعيدٍ ثم أدار ظهره وأشار لـ (مينا) ووالده أن هيا بنا نرحل.. قال العم (غريب):

- وترجع يا (يحيى) صدقني أنت راجع، المرة دي جيت مضطر ومجبور، المرة الجاية هتيجي بكيفك، وهستناك، هستناك عشان هتيجي.

لم يعره (يحيى) أي انتباه، حتى أنه لم يلتفت إليه، فقط أكمل طريقه للرحيل دون وقوف...

إنها تقترب من الواحدة صباحًا

يومٌ منهك كثيرًا، جسديًّا وفكريًّا ونفسيًّا، الكون كله في حالة صمتٍ وسكون، لا صوت غير أنفاسك، غُرفتك مُظلمة، أفكارك السوداوية تتراقص أمام عينيك المُنغلقتين، قلبك يختلج شوقًا، ليس شوقًا لحبيب أو شخص بعينه، وإنما للحظةٍ ما، لأوقاتٍ ممتعة ومريحة قد عشتها وشعرت بها..

رائحة الليل مؤلمة، أليس كذلك؟!

الليل مؤلم أعلم، فإنه يوقظ بداخلنا أشياء، نبذل جهودًا طائلة لدفنها نهارًا لكنها تأتينا ليلًا حتى تُمزق ما تبقى من روحنا، غدوت كأنك رخوي من كثرة المتاعب والخيبات التي اغتصبت طاقتك حتى أهدرتها في اللا شيء، لم يعد بإمكانك أن تتأمل أو تبتهج قليلًا، لم يعد بإمكانك أن تغفو دون أن تتصارع الدمعات على جبينك، اشتقتُ إلى حيث انتهت طفولتك، أليس كذلك؟!

اشتقت أم أنك مثلي، لا تود تذكر شيءٍ من تلك المرحلة؟! ليتك لم تكن مثلي...

بعد يومٍ طويلٍ ومُجهد، وصل (يحيى) إلى بيته ودلف فورًا إلى غرفته ثم قام برميِ جسده على الفراش، ووضع وجهه في منتصف الوسادة ثم قام رفع رأسه حتى يستطيع التنفس، ونهض ليتناول (اللاب توب) وقام بفتح صفحته الرسمية على (الفيس بوك) حتى يرى آخر الأخبار والمستجدات في اليوم، قائمة الأصدقاء لدى (يحيى) لم تتعد المئة صديق، من ضمنهم عائلته وعائلة (مينا) وبعض الأشخاص العابرين، حتى العلاقات الإلكترونية، لم يفلح بمُسايرتها.

إنها (فريدة).. لقد نشرت مقطع فيديو منذ قليل..

فيديو لـ (نجاة).. تُغني (عيون القلب)..

يبات الليل.. يبات سهران على رمشي، وأنا رمشي ما داق النوم، وهو عيونه تشبع نوم.

ابتسم ابتسامة خفيفة، وقام بإغلاق الفيديو كأنه تجاهله، وأخذ يتجول قليلًا بين طيات تلك الصفحات الإلكترونية ثم طُرق الباب..

دلفت (توليب) ثم قالت:

- في جديد؟

- لا مفيش.

- يعني إيه مفيش؟!

- مفيش يا تولي، روحت أنا و(مينا) النهاردة، بس تقريبًا توهنا عشان القرار مش مكتوب فيه رقم البيت ولا حاجة، وتوهنا في الشوارع، فكلمت أنكل (عيسى) يكلم لنا حد في الحي يساعدنا يعني بدل اللف.

- (يحيى) بابا أكيد مجرالهوش حاجة.. مش كدا؟!

- ربنا اللي يعلم يا (توليب) بس خير.

- (يحيى).. انت بتدور عليه عشان عايز توصله، ولا بتدور عشان بس تخلص من الحوار، ولا ايه بالظبط؟

- روحي نامي يا تولي، ومتشغليش بالك بحاجة، روحي يا حبيبتي.

- ماشي يا (يحيى).. تصبح على خير.

ذهبت (توليب) وقد أدركت أنه يحاول إسكاتها فقط.. ثم تلقى (يحيى) رسالة من (مينا) ففتح المحادثة الإلكترونية بينهما.

قال (مينا):

- إحنا نسينا نسأل (غريب).. ليه أبوك غير اسمه؟

- إنت لسه منمتش، أنا قولت أنت زمانك في سابع نومة من تعب النهاردة.

- والله يا بني حاولت بس لقيت دماغي بتون، فطلعت البلكونة أشرب سيجارة وفضلت أفكر في اللي حصل النهاردة.

- انت في البلكونة يعني دلوقتي ولا دخلت؟

- لا لسه في البلكونة.

- إستنى هقفل اللاب وأطلع لك.

كانت شُرفة غرفة (يحيى) ملازمة لشُرفة غرفة (مينا).. كان بينهما جدار فاصل فقط..

تحدث (يحيى) قائلًا:

- إيه يا عم الصايع؟

- هتعمل إيه يا (يحيى).. قولت لحد عندك؟

- لا جيت لقيت تيتا وماما نايمين، حمدت ربنا عشان التحقيق، أنا ماليش دماغ ليه، بس من شوية (توليب) جات وسألتني بس حورت عليها ومقولتلهاش حاجة ومش هقول.

- وافرض سألوني؟

- مش هيعملوها بس لو حصل إحنا روحنا وتوهنا في الشوارع واتصلنا بباباك يشوفلنا حد في الحي يساعدنا، وابقى فهم أنكل كمان للأمان.

- ماشي، بس أنا حاسس إن الحوار في إن يا (يحيى) مش مرتاح.

- اهدا الحوار نصباية مفقوسة مش أكتر، فروق، شوفت (فريدة) منزلة إيه؟

- أيوة شوف.... أخ نسيت (زينب).. دانا معبرتهاش من الصبح.

- البس يا عم، محلاها عيشة الحرية هههههههههه.

- بس بقى يا عم بس.. دي مبتعديش الهفوة.

- هههههههه الله يعينك، أنا هروح أنام، وكمل أنت في يومك اللي مش عايز يخلص دا.

- لأ خليك شوية يا (يحيى).. أنا دماغي هتتفرتك من التفكير.

- مالك يا (مينا)؟!

- مش عارف اعمل ايه في حواري مع (زينب).. مش قادر اسيبها ومش هعرف أعيش من غيرها، ولا عارف آخرة اللي إحنا فيه دا إيه؟

- انت عارف إن الطريق دا مسدود من الأول يا (مينا).

- يا (يحيى) مش بكيفي ولا بكيفها، ومتقولييش لأ إحنا اللي بنختار، لا يا (يحيى) في حاجات مبنختارهاش، بنتفاجئ بيها حتى لو مكناش عايزينها، بس أنا عايز (زينب).. الحياة من غيرها هتبقى وحشة أوي، وحشة أوي يا (يحيى).

- يا (مينا) لا دينها يقبل بكدا ولا دينك كمان، لو كنت انت اللي مسلم وهي المسيحية، كان الوضع هيكون أسهل، لكن انت عارف رأيي في الحوار دا من الأول.

- مش قادر يا (يحيى).. حاولت ومعرفتش، ليه ربنا بيعمل فينا كدا مدام مننفعش لبعض؟ أنا بحب ديني يا (يحيى) ومش هقدر أتخلى عنه ولا هقدر أتخلى عن (زينب).. (زينب) دي مش زي أي حد، أنا مش شايف غيرها، أي وحدها بعرفها مش هلاقيها فيهم مهما لفيت.. (زينب) هي اللي

مسعداني إني أقدر أتحرك وأعيش وأصحى أستقبل كل يوم جديد لمجرد إني عارف أنها في يومي دا، لا هعرف أحس أي واحدة في حضني غيرها ولا هتحمل إني أحس انها ممكن تكون بين إيد راجل تاني غيري، أنا بحيا بيها يا (يحيى).. فاهم؟

- فاهم يا (مينا) فاهم، بس لا انت هتعرف تغير دينك ولا هي هينفع تعمل كدا، مش هنخسر آخرتنا عشان نكسب حياتنا، دول هما يومين اللي هنعيشهم، زادوا أو قلوا.. يومين.

- مدام هي يومين، وطالت أو قصرت حياتنا هتنتهي، أنا عايز أعيش يوميني دول معاها، والله يا (يحيى) بحبها، هي حياتي بجد وأنا من غير حياتي دي هموت بس الفرق إني هموت وأنا عايش، وأكيد ربنا ميرضاش بكدا.

- ولا أكيد هيرضى باللي بيحصل دلوقتي، انتوا محتاجين معجزة في وقت مبقاش فيه معجزات.

- مش عارف أعمل إيه، مش عارف، بس اللي أعرفه أنها قدري مهما حصل، حتى لو مجوزناش، قلبي هيفضل مربوط بقلبها حتى بعد ما تنتهي الدنيا هقابلها في الآخرة وهعيش معاها اللي معرفتش أعيشه معاها هنا، تفتكر لما نموت ربنا هيقبل يجوزهالي؟!

- لأ بقى مش بتاع فقه أنا عشان أفهم في الأمور دي، بس اللي أعرفه ومتأكد منه إن رحمة ربنا أعظم من أي حاجة، سيبها على الله وهو هيدبرهالك.

- سايبها والله سايبها.

- طيب شوف بقى هتروح تكلمها ولا هتنام، أنا ميت من التعب، فهدخل أنام.

- ماشي، تصبح على خير.

ثم دلف (يحيى) ليخلد إلى النوم...

"ما زالت آلام الصداع تحتل رأسي، هل يستحق الأمر كل هذا العناء؟"

اليوم التالي، صباحًا جديدًا لدى (يحيى).. لكن الساعة تقترب من الثانية عشرة، ولم يستفق من نومه بعد، أخبرتهما (توليب) بأنه عاد البارحة مُتأخرًا وقصت عليهما ما اختلقه (يحيى) البارحة بأنه لم يجد البيت، لقد تأخر ساعتين في النوم على غير عادته، ظن من بالبيت أنه مُجهد بعض الشيء، فتركوه يأخذ قسطًا من الراحة، لكنها لم تكن راحة بل كان كابوسًا..

"بتخنق يا (يحيى) بتخنق."

إن (حامد) هو من معه وراء انغلاق عينيه، العرق يتصبب من جسد (يحيى)، يهتز وكأنه من يختنق حقًّا، عقله بداخل الكابوس يساعده كي يستفيق لكنه لا يستطيع، حتى صاح فزعًا:

- الحقونننييييي.

هرول كل من بالبيت نحو غُرفته..

تساءلت (عوّد) بفزع:

- إيه يا بني مالك؟!

- تقريبًا كابوس يا ماما، كابوس.

- خير اللهم ما اجعله خير؟!

- مش قادر أتكلم.. (توليب) هاتيليماية.

هرولت (توليب) إلى المطبخ حتى تأتي له بكوب ماء..

حاولت (عوّد) تهدئته قائلة:

- وحد الله يا بني.

- لا إله إلا الله.. (حامد).. (حامد) كان معايا في الحلم، كان في حاجة بتخنقه وكان بيقولي "بتخنق يا (يحيى)".. بس الإيد كانت بتخنقني أنا يا ماما مش هو بس كان جايلي ان هو اللي بيتخنق، بس أنا كنت هموت يا ماما هموت.

لم تلبث (عوّد) وضمته إلى صدرها محاولةً تهدئته وأخذت تربت عليه وتقرأ المعوذتين وبعض الآيات القرآنية، حتى جاءت (توليب) بكوب الماء، فأخذه منها وكأن الظمأ يملأ جوفه، وما أن هدأ حتى قالت (عوّد):

- انت هتقوم تصلي يا (يحيى) وتستعيذ من الشيطان كدا وبعدين تلبس هدومك وتروح تشوف حوار بيت أبوك دا يا بني، لازم تعرف أبوك فين، في الأول والآخر أبوك يا (يحيى) وممكن يكون عليه دين ولا حاجة ولازم نسده، قوم يا بني.. الله يهديك.

ثم نظرت إليهما (توليب) متوجسة خيفة قائلة:

- هو جراله حاجة يا (يحيى)؟

- لا يا حبيبتي مجرالوش، أو معرفش يا (توليب).. بس أنا هدورلك عليه وغلاوتك عندي لاعرف كل حاجة.

ثم نهض من على فراشه، وتناول هاتفه وبعث لـ (مينا) رسالةً أخبره بأنه يُريد أن يذهب معه إلى باب النصر مُجددًا ثم ذهب إلى المرحاض حتى يتوضأ تأهبًا للصلاة.

كان كابوسًا شنيعًا، أعلم.. لذا حينما يتعرض الإنسان إلى مكروه، لا بد أن يلجأ إلى ربه دومًا، كان بداخل (يحيى) حالة من التوتر والرعب الدفين، لم

يأته كابوس كهذا من قبل، ولم يشعر بهذا الخوف قبل اليوم، فوجد نفسه ساجدًا على الأرض، يداه ترتعشان بشدة إثر التوتر الذي أصابه من الكابوس، ففسره بأنه زيادة في ضغط الدم لا أكثر، وبعد قليلٍ ستعود الأمور لطبيعتها.

أنهى صلاته وارتدى ملابسه ثم همّ بالذهاب.

ألقى (مينا) عليه التحية قائلًا:

- صباح الخير يا عم، انت ياض بحالات.. مش قولت مش هتروح تاني؟!

- أنا شفت كابوس يا (مينا).

- إيه علاقة دا بسؤالي؟

- الكابوس متعلق بـ (حامد) و(حامد) متعلق بيه سر اختفائه، ووضع البيت اللي ظهر فجأة دا مريب، يعني في حاجة مش متفسرة ولا مفهومة، والدايرة كلها حلقتها متوصلة ببعض، أكيد لو فهمنا حوار البيت هنفهم (حامد) مين، وقتها هعرف أفسر الكابوس اللي جالي دا.

- كان حقك تخش كليه شرطة يا جدع، بس كابوس إيه اللي شوفته؟

- مينفعش أقولك عليه.

- ليه يا خويا؟ ولا إحنا في المرمطة مدعيين وفي كابوسكم منسيين؟!

- إيه يا عم انت؟ هتردحلي! يا عم سيدنا محمد نهى عن كدا، قال: "من رأى منكم رؤية خير، فيُحدث بها من يُحب، ومن رأى رؤية شر، فليتفل على شماله ثلاثًا، ويستعذ بالله من الشيطان الرجيم".. فهمت.

- فهمت، يا خويا فهمت، وقفلنا بقى تاكس، ولا هناخدها مواصلات بقى في الزحمة دي!

- طيب طيب، الله يسامحها تيتا، مرضيتش تسيبلي العربية.

"إذا أصابتك الحيرة من متاهةٍ ما، فإنك تصبح غير مدرك لما يحدث، تقول ما لم تُرد قوله، كأنها تربط عقلك بأرجوحة، تظل تدور وتدور بك دون توقف، تدور في فلكها حتى تسلب عقلك، وتسلب منك حق الحياة، ونفسك أيضًا، تنزع منك كل شيءٍ عنوة ثم تلقي بك في مُغامراتٍ وحكاياتٍ عجيبة، لا نهاية لها إلا بنهايتك أو بجنونك، وكلما زادت مقاومتك، زاد غلق الأرجوحة عليك أكثر فأكثر ثم يضيع عمرك في تلك المتاهة دون جدوى."

وصل (مينا) و(يحيى) إلى حيث المقهى الذي جلسا به ليلة أمس، وسأل (يحيى) عن العم (غريب) فأخبره (القهوجي) بأنه سيجده في جامع المنطقة.. ذهبا إليه..

تحدث (يحيى) قائلًا:

- اخلع كوتشيك يا (مينا) قبل ما تدخل.

- لا يا صاحبي، اتفضل انت، أنا هستناك هنا.

رمقه (يحيى) مُبتسمًا ثم دلف إلى الداخل باحثًا عن ذاك العجوز، حتى وجده مُستندًا إلى عمود وأمامه مُصحف كبير وبيده مسواك، اقترب منه (يحيى) خطوات، وما أن وصل إليه حتى قال العم (غريب):

- والله كنت عارف إنك جاي تاني بس مكنتش أعرف أنك هتاجي جوام كدا.

- بص يا حاج أن.....

قاطعه العم (غريب) قائلًا:

- إيه مستكبر تجولي يا عم (غريب) ولا إيه، أنا محاجيتش لسه بس يسمع منك ربنا، بس أنا أحب تجولي يا عم (غريب).

- أنا عارف إن وراك سر، أنا مش عارفه بس هعرف متقلقش، أنا بس عايز أعرف إيه حكاية البيت وإزاي جالي قرار الإزالة والحي بيقول إن مفيش قرار خرج أصلًا لأي بيت في الحي، وإيه حوار الخديوي دا، وهو انت تعرف (حامد) من امتى؟!!!

- واحدة واحدة بس متبجاش متصربع زي أبوك كدا.. الله يحفظه.

- الله يحفظه!!!!! انت عارف هو فين؟!

- لأ معرفش، يا ريتني أعرف، دانا اتوحشته والله.

- حضرتك بتستغباني يا عم (غريب)؟

- أنا يا بني أستغباك! ليه الله يجازيك، جوم طيب معايا يلا.

تحرك العم (غريب) و(يحيى) مُتجهين للخروج من المسجد، وكان (مينا) في انتظارهما بالخارج، وعندما رآه العم (غريب) تبسم قائلًا:

- تقبل الله يا (مينا).

ضحك (مينا) وتبسم (يحيى) من لُطف هذا الإطراء، ثم اتجهوا إلى بيت الخديوي، وفي طريقهم سأله (يحيى):

- هو حضرتك تعرف (حامد) من امتى؟!

- داحنا بقالنا زمن عشرة وصحاب، غياب أبوك كسرني، خلاني انعدمت الونس وبقيت لوحدي.

- أيوة بس أنا مسمعتش ماما ولا هو جابوا سيرتك قبل كدا، واللي أعرفه إنه أصلًا معندوش صحاب.

- وهو أنت تعرف عنه إيه عشان تعرف إذا كان عنده صحاب ولا لاء.. ثم أبوك كان صاحب الكل وحبيب الكل، وعلى طول كان بشوش والضحكة مبتفارقش وشه.

- مين دا؟! (حامد)!

- أيوة (حامد).. (حامد) يا ابن (حامد).

ثم نظر كلٌّ منهم إلى الآخر، وأكملوا سيرهم في صمت، وحين اقتربوا من الوصول، دق هاتف (مينا).

(صاحب البيت يرن...)

تحدث (مينا) قائلًا:

- دا بابا بيرن.

قال (يحيى):

- طيب رُد شوف يمكن وصل لحاجة.

- آلو يا بابا.

- إنت فين؟ (يحيى) معاك ولا لأ؟ موبايله مقفول.

- إحنا في باب النصر أنا وهو، ومش عارف موبايله مقفول ليه.

- طيب افتح الميكرفون يا (مينا).

وبالفعل فَتح (مينا) السماعة الخارجية في الهاتف المحمول..

قال (عيسى) شارحًا:

- (يحيى).. أنا سألت في الحي عن بيت باسم الخديوي، بردو ملقتش يا (يحيى) وبعد شوية بحث وتدوير اكتشفت إن الإخطار اللي جالك دا أيًا كانت صحته بس جيه بعد سنين من اختفاء والدك، دا إن دلنا على حاجة، يبقى إن المحكمة بعد غياب الشخص لمدة خمس سنين من

غير ظهوره أو وجود أي معلومة بتأكد وجوده، بيُحتسب في نظر القانون ميت، وعشان كدا جالك إخطار بأملاكه، إنك تستلمها لأنه في نظرهم متوفي، بس أصلًا (حامد) مختفي من أربع سنين بس، وقرار المحكمة دا بيصدر بعد مرور خمس سنين مش أربعة، وبعد شوية تفكير أكتر جيه في دماغي سؤال.. ليه مجاش إخطار كمان عن شقة الدقي؟ واللي أنا مش فاهمو، إزاي يجي إخطار لبيت مش مملوك لأبوك أصلًا يا (يحيى)؟!!!

اشتدت حلقات المتاهة تعقيدًا وازدادت التساؤلات التي لا إجابة لها..

أجاب (يحيى) قائلًا:

- عم (غريب).. عم (غريب) أكيد عنده السر.

قال العم (غريب):

- شكلك شاطر في مجالك يا أستاذ (عيسى).. بالله عليك عندي حتة أرض في البلد عليها مشاكل، فكرني أرفع جضية وانت اللي تمسكهالي.

تحدث (يحيى) قائلًا:

- أظن المراوغات اللي بتحصل دي مش هتجيب نتيجة، لو صح أنت تعرف (حامد) وهو غالي عندك زي ما بتقول، ريحني وقولي ايه اللي بيحصل؟

- تعال يا (يحيى).. تعال معايا أوريك حاجة هتساعدك تفهم كل حاجة لوحدك من غير ما تحتاجلي.

تحدث (مينا) لينهي المكالمة:

- طيب يا بابا، أنا هقفل دلوقتي.

- لو وصلتوا لحاجة يا (مينا) عرفني، خليك متابعني بالجديد أول بأول.

- حاضر يا بابا متقلقش.

أصر العم (غريب) أن يُعطي المفتاح لـ (يحيى) ويفتح باب البيت، ولا أعلم السر في هذا!

بعد أن دخلوا البيت، وقفوا في منتصفه ثم قال العم (غريب):

- طبعًا انتوا دورتوا المرة اللي فاتت وملقتوش حاجة.

أجاب (يحيى):

- أظن أنت كنت معانا وشوفت.

- طيب (يحيى) تعالى معايا.

سحب يده وأخذه للداخل، كان المرحاض بجانب المطبخ وبمسافة متر، هُناك حائط مُعلق عليه لوحة كبيرة، طولها كان بطول الحائط ولم تكن عريضة ثم قال (يحيى):

- خير يا عم (غريب).. هو (حامد) مخبي حاجة في المطبخ مثلًا؟

- تعرف حكاية سيدنا موسى لما راح لراجل صالح يصاحبه عشان يتعلم منه؟!

- سمعتها مرة من شيخ.

- تعرفها أنت يا (مينا)؟

أجاب (مينا):

- لأ معرفش.

- تعالى طيب نقعد هنا وأحكيلك.

قال (يحيى):

- هو إحنا لسه هنقعد ونحكي.

- إن الله مع الصابرين يا بني، أقعد، بص يا (مينا) في سورة الكهف دي كلها مواعظ وعِبر بس في حكاية كدا مع سيدنا موسى راح لراجل صالح من عباد الله عشان يلازمه ويتعلم منه اسمه سيدنا خضر، أول حاجة الراجل قالها لموسى: "إنك لن تستطيع معي صبرًا" بس موسى قاله: "ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا" فأول شيء فعله الراجل دا، ركبوا سفينه وبعدين عمل عيب في السفينة، فسيدنا موسى تعجب من فعله ومصبرش، فسأله ليه يعني كدا، أنت تغرقها؟ وقتها الراجل رد عليه وقاله: "ألم أقل أنك لن تستطيع معي صبرا" وقتها موسى اعتذر له على نسيانه، وبعدها مشيوا، فلقوا غلام يعني عيل، فالراجل دا قتله، فتعجب سيدنا موسى وقاله: "أقتلت نفسًا زكية بغير نفس لقد جئت شيئًا نكرا" وقتها الراجل بردو قاله: "ألم أقل لك أنك لن تستطيع معي صبرا" بردو اعتذر سيدنا موسى وحكم على نفسه إن سأله عن حاجة تانية هيبقى فراق بينهم، وبعدين راحوا قرية وطلبوا منهم يستضيفوهم ويطعموهم وكدا بس

أهل القرية رفضوا، وفي القرية دي كان في جدار آيل للسقوط، فالرجل دا أقام الجدار دا، وبردو سيدنا موسى تعجب من فعله بس عشان مصبرش وسأل، كانت نتيجته أنه هيفارق الراجل الصالح دا زي مهو حكم بكدا، وبعدين الراجل الصالح عرف موسى بالحاجات اللي مصبرش عليها، وإن كل حاجة كان وراها حكمة، السفينة كان في ملك ظالم بيستولي على السفن والسفينة كانت لناس غلابة بيشتغلوا في البحر، فعمل فيها العيب دا بس عيب ميتلفهاش عشان الملك مياخدش السفينة، والولد اللي قتله، أبوه وأمه كانوا ناس مؤمنين اوي وهو هيسبب لهم الشقا والتعب، فربنا أراد أنه يرزقهم بغيره أحسن منه، وكانت الست وقتها أم الواد دا حامل، والجدار بقى كان لطفلين يتامى وأهل القرية مكنوش ناس كويسة، وكان أبو الطفلين دافن تحت الجدار كنز ليهم، فربنا عايز يحافظ عليه لحد ما يشدوا أزرهم كدا، عارف الحكمة من ورا الحكاية دي إيه يا (يحيى)؟!

- لأ معرفش.

قال (مينا):

- أنا عرفت، الحكمة في الصبر عشان البشر، وسيدنا موسى يتعلموا الصبر ولو كان صِبر كان عِرف أكتر.

- الله ينور عليك، يعني انتوا لو كنتوا صبرتوا المرة اللي فاتت، كنتوا عرفتوا أن البيت في أوضة رابعة غير التلت أوض دول.

سأل (يحيى):

- وفين بقى أربعة مهما قدامك أهو تلاتة، وأدي المطبخ والحمام.. البيت في ايه تاني؟!

نهض العم (غريب) من جلسته مُمسكًا بيد (يحيى) ثم أوقفه مُباشرةً أمام اللوحة وقال:

- حلوة البتاعة دي.. مش كدا يا (مينا)؟ كنا على طول بنتخانق أنا والخديوي عليها، بيقولي أن قيمتها كبيرة وأن ورا الرسمة وألوانها أسرار كتير قوي، ميعرفهاش غير اللي يمشي بين أنساجها.

تحدث (يحيى) بغضب:

- يا عم (غريب) يا عم الحاج الله يخليك أنا اتبهدلت اليومين دول ومش عارف راسي من رجلي، فمش عايز أسمع حواديتك مع (حامد) أنا عايز أخلص.

حاول (مينا) تهدئته قائلًا:

- ما تهدا يا (يحيى) ما قالك إن الله مع الصابرين.

- عليك نور يا (مينا).. وأنا هخلصك يا عم (يحيى).. هِم أنت و(مينا) ونزل اللوحة دي من على الحيطة.

قاما بإنزالها من على الحائط، وبعد أن وضعاها جانبًا، وجدا خلفها بابًا صغيرًا من الحديد، يمر المرء منه مُنحنيًا بعض الشيء، بدأت بوادر الاندهاش والاستهجان، تظهر عليهما حتى قال (مينا):

- هي دي الأوضة الرابعة؟

- هو دا اللي (يحيى) عايز يوصله.

فاقترب (يحيى) صوب الباب ببطءٍ شديد، وأمسك بالمكبح ثم قام بفتح ذاك الباب، وحين فتحه، فاحت رائحة العود في الأنحاء، وكأن هناك من بالداخل لكن ما من أحد هُناك غيرهم ثم دخل مُطأطئًا رأسه، ويليه (مينا) ثم العم (غريب).. أضاء المصباح الكهربائي، الإضاءة كانت شديدة بشكلٍ مُكثف، غرفة لم تكن ضيقة بل تكاد تكون بمساحة غُرفتين، مساحة شاسعة وجدران ممشوقة ومكتبة شاهقة الارتفاع بطول الغرفة وعرضها، مليئة بكم هائل من الكتب التي لا حصر لها.

سأل (مينا):

- أبوك كان بيقرا كل الكتب دي يا (يحيى)؟!

- معرفش يا (مينا).. أنا عارف أنه كان غاوي كتب بس مش بالشكل دا.

قال العم (غريب):

- لو كنت تعرف أبوك صح كنت قدرت تعرف إذا كان قرا كل الكتب دي ولا لأ.

- بص يا عم (غريب) حضرتك من أول ماشوفتني بتكلمني بطريقة هجوم بشكل واضح جدًّا، أنا معرفش (حامد) وصلك صورة عننا عاملة إزاي، بس أنا وأمي وأختي كنا مجرد رد فعل لأفعاله الكتير اللي حصلت ووصلتنا لحد هنا.

- كل واحد بيبقى عنده ظروفه وحججه وأنت مديتش لأبوك فرصة تسمع له أو تعرف إيه اللي جراله وايه كات ظروفه.

أجاب (يحيى) بنبرةٍ غاضبة:

- أبوك أبوك.. (حامد) مش أبويا، لا عمري اعتبرته ولا عمره هيكون، مجرد اسم بيتبع اسمي، غير كدا لأ، لا هو كان يعرف عني حاجة ولا أنا عايز اعرف عنه حاجة، ووجودي هنا بس ظرف طارئ مش أكتر، وأنا عايز أخلص من البيت دا عشان أخلص من أي حاجة ممكن تعلقني بيه بأي شكل، وعشان أخلص ضميري وكمان عشان أختي لأنها للأسف بتحبه، وقلبها ملهوف عليه وعايزة تعرف إيه اللي حاصل لكن لو عليا هلف ضهري لأي حاجة ممكن تسحبني لحواديته، هو مكنش في حياتي غير مجرد شخص سببلي كل حاجة وحشة، لحد دلوقتي بحاول أتخطى وأصلح الخراب اللي سابه جوايا.

حاول (مينا) تهدئته قائلًا:

- صلي على النبي يا (يحيى).. عم (غريب) مقصدش أكيد، بالراحة مش كدا.

قال العم (غريب):

- سيبه يا (مينا).. سيبه يا بني، بكرا أكيد يعرف غلطه.

ثم أدار ظهره ليهم بالخروج من تلك الغرفة، وذهب يجلس على ذاك المقعد الذي كان يجلس عليه بجانبه (مينا) قُبيل دخولهم للغرفة..

زفر (يحيى) في ضيق، وأخذ هو و(مينا) يبحثان عن أي شيءٍ يجعلهما يعرفان ما يدور أو يدلهما عما يريدان معرفته، البحث وسط ذاك الكم الهائل من الكتب، أمر صعب، تبحث بين طيات أوراق، لا تعرف ما تحمل في جوفها، تود أن تجد بها مستقرًا لحيرتك، ولكنك تجهل أنك تبحث بين متاهات، إذا سرت بها، فلن تخرج من بين سطورها إلا بأمورٍ أخرى غير تلك التي كنت تبحث عنها في بداية الأمر..

قال (مينا):

- مهو مش أكيد يا (يحيى) هنقدر ندور وسط الكتب دي كلها في يوم واحد عن أي حاجة توصلنا لأي حاجة، دي عايزة على الأقل أسبوع عشان تعرف تدقق وتتفحص وتتمحص، دا موال يا بني.

- على رأيك والله بس أنا عايز أخلص يا (مينا) عايز الحوار دا ينزل من على دماغي، أديك شايف اللي الواحد اتغرز فيه من غير ما يسعاله، أنا رأيي نقسم وبلاش شغل الفوضى دا وندور بالترتيب.

- ماشي هنبدأ بإيه بقى؟ بكتب السياسة ولا الأدب ولا علم النفس ولا الكتب الإنجليزية ولا الفرنساوي ولا كتب الطب ولا علوم الدنيا والآخرة؟ ولا أقولك نبدأ بالتشريح، أموت وأعرف رف كامل عن كتب التشريح ليه يا (يحيى)؟! إللي أعرفه إن بابا محاسب.. مش كدا؟ ألا ما في ولا كتاب ليه علاقة بتخصصه!!

- معقول يكون قرأهم كلهم؟! بس هو مكنش بيشتغل، صرف على نفسه منين؟ اشترى كل الكتب دي والبيت دا منين؟! يوم ما سيبنا البيت

مكنش عنده غير يمكن عشرة خمستاشر كتاب بس، استنى يا (مينا) ماما قالتلي في مرة سألتها.. ليه سيبنا البيت؟ ردت: الناس يا (يحيى) لازم تكون كتاب مفتوح قصاد بعض، لازم نعرف بعض ومنخبيش على بعض حاجة، لكن بابا كان كتاب مش مفهوم، دايمًا وراه أسرار بس أسراره كلها كانت مع الكتب ودايمًا قاعد لوحده، ومن كتر حبه للقراءة، ساب الشغل اللي إحنا عايشين منه، ولما اعترضت قالي إنه مش هيشتغل تاني، وأنا يا بني قررت أمشي عشان أعرف أربيكوا.

- أيوة يعني إيه مفهمتش؟!

- أنا وقتها سني مساعدنيش أستوعب إن أسراره كلها مع الكتب، يعني (حامد) لو عايز يعرفنا حاجة هيعرفهالنا من خلال الكتب، يعني إحنا كدا بندور صح.

- أيوة بس الكتب كتير وأنا مش عارف ممكن نلاقي فيها إيه، متاهة أبوك دي ملهاش باب للخروج يا (يحيى)!

- بس لازم أعرف إيه اللي بيجرا، لازم أعرف إيه اللى ورا (حامد) وايه الأسرار اللي كتماها الكتب دي.

كان العم (غريب) جالسًا خارج الغرفة لكن كان باستطاعته سماع حديثهما رغم أنهما كانا يتهامسان، ارتسمت على ملامحه ابتسامة أشبه بابتسامة النصر أو تلك الابتسامة التي ترتسم تلقائيًّا عندما نُراهن على شيءٍ ما ونربح ما راهنا عليه ثم أسند عُكازه إلى المقعد الذي كان يجلس عليه، وهمّ بالذهاب راحلًا دون أن يشعر به أحد..

قال (مينا) مقترحًا:

- أنا رأيي كفاية علينا النهاردة الخطوة اللي وصلنالها دي، ويلا بينا نمشي دلوقتي وبُكرا نيجي نمخمخ وندور على مهلِنا.

- آه يكون أحسن، أنا أصلًا حاسس إني مُجهد، دماغي محتاجة لبرميل قهوة.

- يلا بينا طيب، تلاقي عم (غريب) نعس برا مش طالعله صوت.

ثم خرجا من الغرفة، نادى (مينا) العم (غريب) لكنهما لم يجداه، وجدا فقط عكازه، بحثا عنه في أنحاء البيت واعتقدا في بداية الأمر، أنه قد يكون في المرحاض لكنه كان فارغًا، ذهب العم (غريب) إلى حيث لا يعلمان..

قال (يحيى) راغبًا في الذهاب:

- يلا يا (مينا).. تلاقيه راح القهوة أو الجامع.

- جامع ايه؟ دا مش وقت أذان!

- يا عم تلاقيه على القهوة، انت هتشغلنا ليه؟!

- طيب وساب عكازه، دا بيعرج أصلًا.. يعني مش هيعرف يمشي غير لما يسند عليه!

- انت هتفضل ترغي كدا كتير، امشي يا بني خلينا نخلص.

خرجا من المنزل متجهين إلى المقهى، أمسك (مينا) بعكاز العم (غريب) وحين وصلا، سألا (القهوجي) عنه، فأجاب قائلًا:

- والله يا باشا هو عدى عليا مبقالوش كام دقيقة بس قالي إن وقت ما تيجوا أدي لأستاذ (يحيى) المفتاح دا والورقة دي، مين فيكوا بقى يا بهوات أستاذ (يحيى)؟

- أنا، أنا (يحيى).

- اتفضل يا باشا، تؤمرنيش بحاجة تانية؟

أجاب (مينا):

- لا يا صاحبي.. تسلم.

تناول (يحيى) الورقة مُسرعًا إلى فتحها ومعرفة ما بها، ولم يجد سوى..

(أنا سيبتلك المفتاح، مظنش إنك هتبجى محتاجني تاني، واوعاك تفرط في العُكاز يا (يحيى).. اوعاك.)

تبادلا النظرات في حالةٍ من الذهول والتعجب، حَلت على (يحيى) حالة غريبة، كلما ظن أنه يقترب، يأتي شيءٌ يجرفه إلى منحنى آخر غير الذي كان يسلكه، كلما توقع أن يحدث شيئًا، لا يحدث بل ويحدث عكسه تمامًا.

لا بد أن أحدهم قد رسم متاهةً ما، ونسيَ أن يرسم مخرجًا لها...

"ما زال الصداع برأسي، هل هذا احتضاري؟!"

عاد (يحيى) إلى منزله بينما لا يعلم ما يدور به، تارة ينجرف يسارًا وتارةً يمينًا، ولا مُستقر يُسخر له حتى يجعله يهتدي إلى ما يُريد، تلك العُقد المُتوالية، يتعذر حلها!

كانت (عوّد) بانتظاره تلك المرة، وحينما دلف من باب المنزل، قالت بحدة:

- من امتى وانت مُهمل مُذاكرتك وبترجع متأخر كدا؟!

- ماما أقسم بالله أنا دماغي مليانة وفيا اللي فيا، مش قادر على أي مناهدة.

- اتكلم معايا كويس يا (يحيى).. ولازم تقولي في إيه.. من امتى وانت مبتحكيش؟!

- ولو قولتلك في إيه، هتقدري تجاوبيني مثلًا؟!

- وهو يعني أنت حاولت تحكي عشان أنا أقدر أجاوبك على حاجة؟

- تصدقي يا ماما، انتي تقدري تجاوبيني على حاجات كتير.

- في إيه يا بني، ما تحكي؟؟

- في إن عرفت بيت (حامد) اللي في باب النصر ووصلت له ودخلته ودورت فيه ولقيته بيت عادي بس فيه أوضة، أوضه سرية مليانة كتب كتير بغباء، كتب في كل المجالات، وملقتش ولا ورقة تدلني على أي حاجة، وأنكل (عيسى) قالي إن مفيش أي إخطار طلع من الحي بخصوص أي

بيت من فترة، ومحدش هناك في المنطقة يعرف (حامد) بس يعرفوه باسم الخديوي، وقابلني هناك راجل (غريب) محبتهوش من أول لحظة شوفته فيها، ومن الواضح أنه كان ملازم لـ (حامد) ازاي مفيش في الحي حاجة تخص البيت، وهو جايلي باسمه؟! وازاي وصل لحد هنا؟ وليه أوضة الكتب (حامد) مخبيها ورا لوحة في أوضة منعزلة؟ وليه الراجل اختفى وسابلي عكازه ومفتاح البيت؟؟؟؟؟؟

- إيه يا بني الحاجات الملغبطة اللي إنت بتقولها دي؟ أنا مش فاهمة حاجة!

- ولا أنا صدقيني، أنا هروح أنام، حاسس أن دماغي هتنفجر من التفكير والصداع، صداع الصداع دا مقدور عليه يروح بكام ساعة نوم بمسكن لكن (حامد) صداع مزمن مش عارف أخلص منه.

- كل حاجة ليها تفسير أكيد، ارتاح وبكرا الصبح نتكلم.

أومأ (يحيى) موافقًا، واتجه إلى غرفته، لم يُضيء مصباحًا ولم يُبدل ملابسه، وذهب إلى فراشه مباشرةً، لم يلبث أن وضع جسده على فراشه، إلا وأصدر صوت (اللاب توب) إشعارًا بأن هناك رسالة، فنهض مُعتدلًا ليرى من بعث له، إذ بها (فريدة):

- إنت كويس؟؟!

ظل يتمعن قليلًا بشاشة (اللاب توب) وظل لثوانٍ يُفكر حتى أجاب:

- أيوة كويس، ليه بتسألي؟!

- حسيتك مش بخير يا (يحيى).

- لا بخير يا (فريدة) شكرًا على سؤالك.

- شُكرًا؟! على فكرة إحنا زمايل، فعادي لما أسأل عليك يعني، بلاش الطريقة دي.

- لا طريقة ولا حاجة يا (فريدة) أنا والله ما فيا دماغ لأي حاجة دلوقتي، آسف لو ضايقتك.

- متعتذرش يا (يحيى) بس عادي لو عايز تحكي، فيك إيه؟!

شعر أنها تنبش بداخله، يُريد أن يتحدث لكن لا يدري كيف يبدأ!

- أنا فعلًا مش بخير، تايه وجوايا مليون حاجة متلغبطة.

- مالك بس؟

- مش هقدر أحكي صدقيني، أصلًا مش عارف أحكي إيه، أنا والله ما اعرف أي حاجة الفترة دي!

- طيب خلاص، سيبك مش لازم تحكي، بس وقت ما تحب، أنا موجودة دايمًا.

أجابها بصورة الوجه الباسم الذي يوجد على برامج التواصل الاجتماعي، وانتهى الحديث إلى ذلك بينهما، لكن لم ينتهِ بداخلهما..

"تنتهي رسائلنا أحيانًا، ولكن لا ينتهي الشعور."

قام (يحيى) بإغلاق جهازه، وعاد مُجددًا إلى فراشه مُستسلمًا لمعاركه...

"ماذا يحدث برأسي؟!"

ضوءٌ خافت ينبعث من الأنحاء.. (يحيى) بمفرده بالمنزل لكن به تغيرات، يمسك بيده اليسرى ذاك العكاز، ويشعر أن قدمه بها مكروه، يوزع نظرات مُبهمة هُنا وهناك ثم تظهر مرآة أمامه، لا يعلم من حيثُ أتت! وإذ بذاك العجوز (غريب) يظهر له في هيئته ثم يقول:

- هناك روح هناك في الدقي هتلاقيه.

ينتفض (يحيى) من نومه مُجددًا، يملؤه الهلع، الأمر يزداد تعقيدًا، سنظل نتساءل عما يجري! اعتدل من نومه باحثًا في أنحاء منزلهم عن (عوّد) حتى وجدها تحتسي القهوة بالشرفة مع والدتها ثم سألها:

- مفتاح بيتنا فين؟!

- طيب قول صباح الخير.

- مفتاح بيتنا اللي في الدقي فين؟!

سألت الجدة:

- وانت عايزه في إيه؟!

- فين المفتاح بس؟!

ثم جاءت (توليب) من خلفه مُجيبة:

- في درج الشفُنيرة يا (يحيى).

ركض مسرعًا باحثًا عنه، تلاحقه (عوّد) كأنه مُدمنًا، يبحث عن جُرعته كي تنجيه من الاحتضار، وبعد بحثٍ وجده، فأطلق تنهيده وفرك جبينه، بدأ قلبه يخفق بشدة ثم قال بنبرةٍ تنم عن توترٍ شديد:

- وإيه تاني هيكون مستخبي؟!

- إستنى عندك يا (يحيى).. لازم تفهمني ايه بيحصل معاك؟!

اتجهت عيناه نحوها ثم قال:

- مش هعرف أفهمك حاجة أنا مش فاهمها يا ماما، صدقيني أول ما أقدر أفهم هعرفك كل حاجة.

ثم تدخلت (توليب) في الحديث قائلة:

- سيبيه يا ماما، هنعرف كل حاجة في وقتها.

ثم تحول (يحيى) بعينيه إلى حيث تقف (توليب) وأومأت كأنها تقول له: أفهمك، ابحث وتعال بالإجابات.

ثم أدار ظهره ورحل..

عندما لم نستطع الإجابة عن الأسئلة القابعة في أدمغتنا، يُصيبنا الجنون، قد يُشل ذهنك عن فعل أي شيءٍ ولا يبقى أمامك سوى الحيرة التي أوقعتك بها الظروف، يا إلهي! كم أنت مُجبر على مُسايرة ذاك الجنون! ولا إجابة قد خُلِقت لكَ بعد...

الأوضاع ثابتة وصامته حوله، لا يوجد هناك صوت حتى بداخله، أهذا صمت عما يدور أم صبر على الأمور التي تُخفى وستظهر له بعد ذلك أم هذا الهدوء الذي يسبق العاصفة؟! لكني لا أجد فارقًا بين الصمت والصبر أو حتى الهدوء، فجميعهم يجلبوا العذاب إليك...

آلام رأسي تشتد، تراودني فكرة أنني طيلة هذه الأيام، أركض في الطريق الخطأ، وإن ما أسعى له مجرد خيط من الدخان، ينتهي أثره سريعًا.. دون أن يصلني بأي شيء..

الأبشع هو عدم مقدرتي على التخلص من هذه الفكرة اللعينة برأسي، إنني لا أملك رفاهية الانهيار، لا أستطيع الهروب من العالم الذي أعيش به رُغمًا وحتى لم يكن باستطاعتي ترك كل شيءٍ خلفي! ولا أملك العمر أو الشجاعة الكافية لاكتشاف طريقٍ آخر، أنا مجبر على مواصلة الركض، على ملازمة كل الأشياء الثابتة بحياتي، وعلى مواصلة القتال في حربٍ، أنا الخاسر الوحيد فيها، مجبر على الثبات والتظاهر دائمًا بأنني في أفضل حالاتي رغمًا عن هشاشتي وضعفي ورغبتي في الاختفاء عن الشر، ورغبتي الملحة في قتل البشر جميعًا، المؤسف أيضًا أنني لا أستطيع التعبير بشكلٍ كافٍ عما أعاني منه، ثمة من يتكئون على ثباتي وقوتي، ولا يجب الظهور أمامهم بهذا الضعف، فإذا ضعفتُ أنا سيسقطون، كما أنني أخشى نظرات الشفقة أو قصص الأمل السخيفة التي أحفظها عن ظهر قلب، وتلك الكلمة الاعتيادية "هتعدي" يظنوا أنها كلمة مواساة أو إعطاء أمل بأن كل شيءٍ يمر، إنني أعلم أنه يمر، لكن مروره يجعلني أفقد أمورًا ثم يتحول الأمر إلى حد الاعتياد، فأغدو ثابتًا، لا يهزني شيء، ولم أعد أملك أي شيءٍ، يمكن

فقده، يمر ويظل يمر حتى ننفذ من كل شيء، حتى كلمات النصح التي أعرفها وأحفظها، أنا من الأساس لا أحتاج لمثل هذه الكلمات والقصص والنظرات، يداك التي تربت على كتفي، لست بحاجةٍ إليها، أنا أركض، أصارع، أسعى، أحارب، لم أتوقف من الأساس لأنتظر من يدفعني للأمام، ما زلت في طريقي الذي بدأته منذ زمنٍ بعيد، لكن لا تظن أنني ما زلت على عهدي، الضغوط التي وضعت على عاتقي، وما زلت أستطيع تجاوز العثرات والصدمات، كل ما في الأمر، أن رأسي يؤلمني ألم، لا ينتهي.

***

ساعة يده تدق الثالثة، يرتفع في الأنحاء أذان العصر..

يمسك بالمفتاح، يداه ترتعشان ثم يُفتح أمامه عمر كامل من ذكريات الماضي..

كانوا أسرة صغيرة جميلة حتى انقلبت الأمور رأسًا على عقب، وقف في منتصف الشقة، اصطحبه الحنين للخلف، يشتاق إلى والده، إلى غرفته، إلى طفولته، يشتاق إلى رائحة هذا البيت، أخذ يتطلع إلى كل ناحيةٍ فيه ويتذكر ما مر، وما عاشه، وما حدث، ذهب إلى غرفته القديمة، تأرجح بين الذكريات، يختلج قلبه ألمًا، جلس وأسند ظهره على الحائط ثم ضم ركبتيه إلى صدره يتحضنهما، وأجهش بالبكاء، لم يبكِ منذ وقتٍ طويل، هو أيضًا يشتاقُ إلى أبيه، ولكن الآن غدا مكانه فارغًا منه..

قد مَرت ساعة وما زال جالسًا على الأرض، لكنه قد توقف عن البُكاء، ولم يتوقف عن استرجاع ذكرياته بذلك البيت، همّ من جلسته مُتجهًا إلى مكتب أبيه الذي كان يقضي فيه نصف الوقت من يومه..

حتى رائحة تلك الكتب التي تمتلئ بها أركان الغرفة، يشتاق إليها، اتجه صوب مقعد أبيه، وجلس عليه ثم بدأ يتحسسه وكأنه يُريد استرجاع لمسة والده مُجددًا، الأمر مؤلم وحزين لكنه لم يأتِ للتذكر، جاء من أجل شيءٍ آخر، حاول إقصاء تلك الأمور بعيدًا، وبدأ يتفحص الغرفة بحثًا عن شيءٍ، يجعله يحاول فهم ما يدور.. أخذ يبحث في المكتبة التي لم تعد متزنة لكثرة ما تحمله من كتب، يبحث بين الأوراق، بين الأرفف، وأثناء بحثه، وجد مفتاحًا صغيرًا بداخل كتاب اسمه (عوالم لم تعلموا عنها) كان يوجد في أعلى أرفف المكتبة، فأمسك بالمفتاح في يد واليد الأخرى بها الكتاب، ما هذا المفتاح؟ ولمَ يوضع في هذا الكتاب؟

ثم أخذ يُقلب بين صفحاته بحثًا عن شيء، وقد وجد شيئًا، ظرفًا ليس بقديمٍ ولا بجديد، لكنه كان يختبئ بين أوراق ذلك الكتاب الذي ذابت صفحاته لمرور الزمن من بين سطورها، بدأ بفتح ذاك الظرف رويدًا رويدًا، وكأنه متوجس من شيءٍ ما، بعد أن فُتح الظرف، وجد بداخله مفتاحًا آخر وورقة صغيرة مطوية إلى أربعة جوانب، وضع المفتاح أمامه على المكتب، وأمسك بالورقة ثم قام بفتحها، كانت مُقسمة إلى أربع خانات (يحيى _ عوّد _ توليب _.....)

والخانة الرابعة كانت فارغة، لم يفهم (يحيى) شيئًا من تلك الورقة، ظل لثوانٍ، يُحدق بها في حيرة حتى أمسك بهذا الكتاب مُجددًا وأخذ يقلب أوراقه بحثًا عن شيءٍ آخر، حتى وجد ورقة أخرى شبيهة بتلك الورقة مطوية ومُقسمة لأربع خانات أخرى..

(غريب _ باب النصر _ اللوحة _ الكتاب)

هُناك ألغاز لم يُدركها بعد، هناك أمر يجهله، أخذ يُفكر ويُفكر لكنه لم يصل لشيءٍ أيضًا، ترك تلك الورقات من يده وأسند رأسه إلى يديه يأسًا، أغلق عينيه محاولًا تهدئة عقله الذي سيصاب بمكروهٍ حتمًا...

***

قال (حامد): اجري يا (يحيى) اجري، اجري متقفش.

ظل يركض (يحيى) بأقصى ما لديه من قدرة، أنفاسه تتسارع، نبضات قلبه تتزايد، يلهث لكنه يركض دون توقف، ولم يتوقف صوت (حامد) في ندائه بأن يستمر في الركض، ركض وركض لكنه سيموت إن لم يتوقف قلبه، كان عليه أن يتوقف، لم يعد يتحمل الركض ولم يقدر على الركض خطوة واحدة أخرى، توقف وأخذ يلتقط أنفاسه، حاول أن يتزن وما إن هدأ قليلًا، اعتدل في وقفته واستدار إلى الخلف بنظره قليلًا ثم فجأة ظهر (حامد) من العدم أمامه مباشرةً قائلًا:

- مش قولتلك متوقفش!

رجع (يحيى) للوراء خطوتين فزعًا ثم قال:

- أنا أصلًا مش عارف أنا بجري ليه ومن إيه!!

- اجري وخلاص متوقفش، اوعى توقف.. لو وقفت هتموت.

- أنا مش فاهم انت عايز مني ايه! سيبني في حالي بقى وابعد عني.

- للأسف غصب عني مش بإيدي، بس أرجوك اجري يا (يحيى).. اجري.

- قبل أي حاجة.. إيه حكاية الورق اللي شوفته في الكتاب والمفاتيح؟ انت وراك إيه يا (حامد)؟!

أجابه صوت من خلفه:

- انت اللي وراك يا (يحيى) مش (حامد).

استدار في فزع مرة أخرى، وإذ به العم (غريب) لكن بوجه (حامد) فاستدار (يحيى) إلى (حامد) مرة أخرى، ولكن إذ به العم (غريب).. أخذ يُحدق بهما في هلعٍ، وبصوتٍ ثنائيٍّ قالا:

- اقرأ الكتاب يا (يحيى).. الكتاب هو حل المفاتيح.

***

استفاق (يحيى) من غفلته التي لم تتعد الثواني خائفًا تائهًا، لا يعلم ما يحدث بعقله، وما هذا الذي قد وضع فيه! كان يظن أنه كلما أمسك بالخيط سيصل للمخرج من تلك المتاهة التي قد وضع بها رغمًا عنه لكنها كانت تزداد تعقيدًا، لم يسلم من الهلاك، ومن الواضح أنه لن يسلم..

أمسك بهذا الكتاب وبدأ في قراءته..

الصفحة الأولى...

لن تجد هنا مُقدمة، ولن أخبرك بشيءٍ، لكن أنصحك ألا تقرأ هذا الشيء.

الخديوي

الصفحة الثانية..

إذا وجدت هذا الكتاب، فحتمًا ستكون قد وجدت مفتاحين، لا أعلم من سيقرأه أو من سيعثر على هذين المفتاحين، لكن سأخبرك بأشياء، أجزم أنك لم تعرفها قبيل هذا الوقت الذي تمسك فيه الكتاب بين يديك..

في يوم الخميس الموافق الثامن عشر من شهر يناير الساعة الرابعة ظهرًا، شعرت ببعض الضيق، فتركتُ عملي وذهبت أترجل قليلًا حتى لا أعود إلى البيت وأنا بهذا الضيق، قادتني قدماي إلى حيث يوجد سور (الأزبكية) وأظن أنني قد سرتُ كثيرًا، ولا أعلم لمَ ذهبت إلى هناك! سرتُ بين (الأكشاك) التي تقوم ببيع الكُتب وأخذت أتمعن قليلًا بالكتب المعروضة حتى وقفت أمامه، فتحدث سائلًا:

- **حضرتك بتدور على حاجة بعينها؟!**
- **يا أستاذ، بتدور على حاجة؟!**

استفقت من شرودي وانتبهتُ إليه مُجيبًا:

- **نعم؟!**
- **واضح ان حضرتك كنت سرحان، بقول حضرتك بتدور على حاجة معينة؟!**
- **لا عادي، أنا بس بتفرج.**
- **طيب ما تتفضل جوا الكشك في حاجات تانية كتير وكتب نادرة.**

- قرأت كل الكتب النادرة، أنا خلصت كل الكتب، كل حاجة قرأت عنها وعارفها، فمظنش إنك عندك حاجة أنا مقرأتهاش.

- لا أنا عندي حاجة متأكد إنك مقرأتهاش.

تبسمت ساخرًا ثم قلت:

- طيب وريني كدا ونشوف.

- طيب اتفضل.

دخل ذلك الرجل إلى (الكشك) وكان على وجهه ابتسامة عريضة، لا أعلم مصدرها ولا على أي سبب يبتسم!

(الكشك) ليس كبيرًا نهائيًّا بل صغيرًا جدًّا لكنه يَضج بالكتب القديمة والجديدة، تناول مقعدًا صغيرًا وقام بالوقوف عليه حتى يسهل له البحث ثم أتى بشيءٍ مُغلف من أعلى الأرفف، ونزل من على الكرسي واتجه صوبي قائلًا:

- أنا عارف إنك عمرك ما وقع قدامك كتاب زي دا، ودا أصلًا مبيطلعش لحد ومتأكد أن قصته حتى انت، لا قريت ولا سمعت عنها قبل كدا.

- عجبني ثقتك الفازة دي.

ثم تناولت منه الكتاب وحاولت نزع الغلاف، وقبل أن أنزعه، وضع يده على يدي قائلًا:

- لأ مانت لو مش هتاخده متفتحهوش.

- طيب أخده ازاي من غير ما أعرف هو بيحكي عن إيه؟!
- لا تاخده وبعدين تبقى تعرف بيحكي عن ايه!
- دا إزاي بقى؟!
- هو كدا يا أستاذ النظام.
- طيب طيب خلاص، بكام؟!
- براحة البال.
- نعم؟!!! أنا بسأل عن تمنه!
- مانا قلت تمنه راحة البال.
- ودي عملتها دولي ولا محلي!
- حضرتك بتتريق؟!
- دانا بردو!!
- طيب خلاص، عشرة جنيه.
- ياه دي راحة البال عندك رخيصة اوي!

فضحك ذاك الرجل بشدة، وشعرت بالفظاظة منه، فقمت بإعطائه المبلغ الذي طلبه واتجهت للخروج، وبعد أن أدرت له ظهري، قال:

- متنساش يا أستاذ، تمنه راحة البال.

لم أعطه أي اهتمام وذهبت، اتجهت إلى المنزل، واعتدت أن أجلب بعض الحلوى لولديّ لكني يومها قد نسيت ولا أعلم ما أنساني! فلقد كنت أفكر

في أمر هذا الرجل الذي يبدو من هيئته أنه في العقد الثالث من العمر، لكن ملامحه عكس ذلك، كأنه في العقد السادس لا الثالث.

كنت عندما أدلف من باب المنزل، يهرول نحوي ولداي، فأقوم بتقبيلهما وإعطائهما ما جلبته لهما، لكن في هذا اليوم حينما دلفت إلى المنزل، هرولا نحوي كعادتهما، فقبلت طفلتي لكن ابني قد سألني عن الحلوى، فأجبته بأنني قد نسيت اليوم، وحينها رفض تقبيلي وذهب إلى غرفته غاضبًا، لا أعلم حتى هذا اليوم الذي أكتب فيه هذا الأمر، سبب غضبه! ولا أعلم لماذا كان يُحدق بذلك الكتاب هكذا! حتى نظراته لم أفهمها حين ذاك، لكن ما أعلمه أنني كان يجب عليّ ألا أنسى أو حتى العودة لجلب ما ينتظرانه مني، لكني أيضًا لم أفعل، ألقيت السلام على زوجتي حتى دون أن أُقبلها كعادتي واتجهت إلى غرفة مكتبي دون أن أستحم أو أُبدل ملابسي أو حتى أنزع ربطة عُنقي، لا أعلم ما دهاني وقتها! دلفتُ إلى الغُرفة وأغلقت الباب خلفي بالمفتاح، ولم ألبث إلا وجاءت تسألني: هل بك شيء؟

أجبتها خلف الباب بألا شيء، لكن هناك ما أود أن أنجزه على عجلة وسآتي على الفور.. ثم جلست على الكُرسي الذي كان أمام المكتب، وبدأت بنزع الغلاف عن ذاك الكتاب حتى أرى ما وراءه، وما إن نزعته إلا وجدت ورقتين من الكرتون السميك، يحتضنا أوراقًا قديمة جدًّا، فبدأت بالتفحص والاستكشاف.

الورقات الأولى، كانت مليئة بالكلمات التي لم أستطع قراءتها، فقمت بارتداء نظارة القراءة، وبعدها وجدتها أسماء كثيرة، أسماء غريبة، لم أسمع

عنها قط ثم قمت بالتقليب لصفحاتٍ أخرى، وبعد أن وصلت للورقة الخامسة، وجدت جملةً مكتوبة في منتصفها بخطٍّ عريض.

فقط عليك أن تحذر...

قادني فضولي إلى الصفحة التالية، التي كانت تقص حكاية لأحد الرجال التي لا أعلم لماذا لم أقرأ عنها بكتب التاريخ أو الجن أو حتى السير!!

(منفلوطي) هكذا كان اسمه، بائع حرير، كان في عهد جوهر الصقلي (أبو الحسين جوهر بن عبد الله) الذي ولد في صقلية عام ٩١١، وكان هذا الرجل أشهر وأهم قائد في التاريخ الفاطمي، كما أنه من بَنى الجامع الأزهر وأسس القاهرة، وقام بفتح بعض البلاد كالمغرب والحجاز ومصر والشام وفلسطين، كان شيعي الملة، الفاطميون في الأساس كانوا ينتسبون إلى الشيعة، أرسله (المعز لدين الله الفاطمي) حتى يستولي على مصر من العباسيين، وكان حينها هو قائد الجيش، وحكم مصر نيابةً عن الخليفة (المعز) أربع سنوات، في السنة الثانية من حكمه، جاء (المنفلوطي) من الشام إلى مصر، وقد مر على (جوهر) حتى يسمح له بالعيش بمصر، وبعد أن قص (المنفلوطي) قصته عليه، سمح له بالمكوث بها تحت رعايته وأعطاه مكانًا بقلب السوق حتى يستطيع أن يوفر قوت يومه، كما أعطاه خمسة ثياب من الحرير، وبالفعل بدأ (المنفلوطي) البيع في السوق والاستقرار بمصر وممارسة حياة عادية طبيعية، أحب (المنفلوطي) (جوهر) حبًّا جمًّا لأنه سمح له بالعيش بعدما طُرد من بلادٍ أخرى، لم تقبل

لجوءه، وما قصصته حتى الآن عاديًّا؛ أليس كذلك؟! نعم، فإن الأمور تسيرُ بشكلٍ طبيعيٍّ إلى الآن، ولكن الأهم ما سيحدث بعد الآن..

في أحد الأيام تأخر (المنفلوطي) عن أهل بيته، عاد جميع البائعين إلا هو، والظلام قد كسا الحي، الأبواب أُغلقت، والأعين نامت.. ولم يعد (المنفلوطي) بعد.

مر يومٌ وأخذ معه يومٌ آخر مُصاحب ليومٍ غيره، ثلاث ليالٍ، ولم يعد (المنفلوطي).. أهجم عليه بعض اللصوص أم حدث له مكروه؟!

(سُهيلة بنت عبد العزيز بن باز) هي زوجة (المنفلوطي) الذي ترك لها أربعة أولاد وطفلًا آخر كانت تحمله في أحشائها، أخذت (سُهيلة) تسأل أهل الحي عما إذا قد رأى أحدهم (المنفلوطي)!

وذهبت إلى حيث السوق، تسأل عنه هناك أيضًا، ولكنها لم تصل لشيء، فما كان لديها حيلة غير أنها تذهب إلى (جوهر الصقلي) تشتكي له حالها وغياب بعلها.

في صباح اليوم التالي، همت (سُهيلة) للذهاب إلى حيث يوجد (جوهر) حاكم البلاد، وعندما فتحت باب البيت لتهمّ بالخروج، وجدته أمامها مباشرةً، إنه (المنفلوطي).. لقد عاد هزيلًا، ملابسه ممزقة كأنه قد صارع أحدهم، وعندما رفعت نظرها تتطلع إليه، سقط مغشيًّا عليه..

***

الصفحة الثالثة...

أظنك تتساءل؛ من هو الخديوي؟!

إن لم تكن يا من تقرأ كتابي هذا تعرفني، فستعرف في نهاية الأمر، هوية الخديوي.. وإن كنت تعرفني، فلا داعي إذًا لكثرة الثرثرة..

لم تنتهِ حكاية (المنفلوطي) بعد، ولكن دون تفاصيل كثيرة، لن تُفيدك، سأخبرك بما هو أهم، ما قرأته في هذا الكتاب المُريب.

حينما استفاق (المنفلوطي).. حاولت زوجته أن تهدئ من روعه، هناك ما قد حدث له، ولم يستطع أن يخبر به زوجته، ليالٍ تمضي وهو على حاله، صامتًا دومًا، يُحدق بالسماء طيلة الوقت، شاردًا أغلب الوقت، يقوم بالليل فزعًا، ولا تعلم (سُهيلة) ما أصابه..

في آخر الحي، يوجد في العراف (محسون).. أحد أكبر وأشهر العرافين، يأتي إليه الناس من جميع الأنحاء، قررت (سُهيلة) في صباح الجمعة، أن تذهب إليه لتستغيث به، أخبرته بحال زوجها، فذهب معها حتى يلقي نظرة عليه، وعندما رآه (المنفلوطي) هرول نحوه وأجهش بالبكاء والصراخ قائلًا: يجب عليك أن تنجدني!

فأمر (محسون) (سُهيلة) بأن تتركهما قليلًا، وقد فعلت، جلسا وبدأ (المنفلوطي) يقصُ عليه ما حدث له..

- كنتُ عائدًا من السوق وقت الغروب، لكني في هذا اليوم، سلكتُ طريقًا آخر غير الذي اعتدت السير به، رأيت عجوزًا غريب الهيئة، شعرت بالخبث نحوه، ولكني لم أتراجع عن التقدم صوبه، كان معه حقيبة، ويُنادي المارة كي يأتوا ليروا ما سيحدث لهم! فذهبت وقام بفتح ما معه ثم قال: "حالك العسير سَيُيَسر، وأولادك سينعموا، وستنعم وتُغمر بالخيرات والأموال إن ذهبت إلى صحراء بابل" ولم أكن أعرف تلك الصحراء التي يتحدث عنها، ولكن حينما سألته أرشدني، فذهبت إلى حيثُ دلني، وكان الليل قد حَل، انتظرت هُناك، ولكني لم أتذكر هذا المكان الآن، وكل ما أتذكره أنني ركضتُ كثيرًا حتى وقعت مغشيًّا عليّ، لقد رأيت شيئًا مُرعبًا، جعلني أفقد السيطرة على نفسي، وفعلت ما يفعله الرضيع، وحينما استفقتُ، وجدتني على أحد أطراف الحي، وزوجتي أخبرتني بأنني قد تغيبت ثلاث ليالٍ، ولا أعلم كيف! أغثني يا سيدي، أخبرني بما حدث وما يجري.

أومأ (محسون) مُتفهمًا ووضع يده اليمنى على جبينه، وأخذ يُهمهم ببعض الكلمات ثم أعطاه شيئًا ملفوفًا كالحجاب، وأمره بأن يعلقه على صدره، وألا يقترب من أهل بيته ثلاث ليالٍ، وألا يخرج من بيته..

أطاعه (المنفلوطي) وهو لا يعلم؛ هل فهمه وفهم ما حدث له أم لا!!

ذهب (محسون) وحينما خرج من بيت (المنفلوطي) ذهب إلى حيث يوجد ذلك العجوز وقد وجده، أخبره بالأشياء نفسها التي أخبر بها (المنفلوطي) وذهب هو الآخر إلى حيثُ ذهب (المنفلوطي)...

الصفحة الرابعة...

عاد (المنفلوطي) ولكن لم يعد (محسون)...

****

صاح هاتف (يحيى).. إنها (توليب) من تتصل به..

- **ايه يا تولي؟**
- **انت فين يا (يحيى)؟!**
- **في الدقي.**
- **طيب إيه وصلت لحاجة، لقيت حاجة؟!**

تطلع (يحيى) لما بين يديه قليلًا وشرد، فأعادت (توليب) عليه السؤال مُجددًا.

- **(يحيى).. (يحيى) رحت فين؟ وصلت لحاجة عندك؟!**
- **ها، لا يا (توليب) ملقتش حاجة بردو.**
- **طيب قاعد عندك مستني إيه؟ يلا تعالى ماما قلقانة عليك.**
- **حاضر جاي.**

****

لكل شخصٍ مِنا نقطة انهيار، إذ لم تكن تعرف أين أنت، فهذا انهيار! إن لم تكن تشعر بالراحة مع ذاتك، فهذا انهيار، إن غدوت شخصًا غريبًا، فهذا انهيار، إن وضعتك الظروف في أمورٍ تجعلك تمضي أصعب أوقات قد

مَررت بها في حياتك، فهذا انهيار، إن حاولت حل ألغاز رسمها غيرك ولم تستطع، فهذا انهيار، إن لم يعد باستطاعتك النوم، فهذا انهيار، إن صاحبتك الكوابيس كل ليلة، فهذا انهيار، تظل تنهار وتنهار حتى تلبث صامتًا، ولم تعد بحاجة إلا قليل من السلام والهدوء، تظل هكذا حتى تصل إلى مرحلة أنه لم يعد يعنيك ما تسمعه أو تشعر به، وحينما تصل إلى تلك المرحلة، سيكون هذا انهيارك الأخير الذي لا شيء بعده سوى موتك..

توقف (يحيى) عن القراءة، وأمسك بالمفتاحين ووضعهما في جيبه ثم أمسك بهذا الكتاب وذهب عائدًا إلى منزله، الأمر يزداد سوءًا، يبدو أن هناك أمورًا ستُفضح، ماذا يحدث؟!

لا أحد يملك تفسيرًا...

إنها السابعة مساءً، قد عاد (يحيى) إلى المنزل، واستقبلته (عوّد) قائلة:

- وصلت لحاجة؟

- كالعادة مفيش جديد.

- طيب بص بقى يا بني، حوار أبوك دا تسيبك منه نهائي، أنا مش ناقصة حالك انت كمان يتلف.

- حالي أنا كمان؟ ليه وهو حاله تلف إزاي؟!

- متعارضنيش يا (يحيى).. أنا أملي خاب مرة فيه، ومش هسمح أنه يخيب معاك انت كمان.

- أيوة بس أنا مش هرجع، أنا لازم أعرف إيه اللي بيدور.

- وانت هتعرف منين؟ إذا كان صاحب الشأن نفسه معرفش!

- معرفش؟! معرفش إيه يا ماما؟! انتي تعرفي حاجة مش قايلاها؟!

- أعرف حاجة! حاجة زي إيه؟ لا طبعًا معرفش، من امتى وانا كنت أعرف عنه حاجة؟

- يعني يا ماما انتي متعرفيش حاجة!

- متظبط لهجتك معايا يا (يحيى) ثم إيه اللي في إيدك دا؟!

- أتمنى لو تعرفي حاجة تقوليها، يمكن تقدر توصلني لحاجة.

- بسألك ايه اللي في إيدك دا؟!

- كتاب يا ماما.. كتاب.

- أيوة كتاب ايه؟ ومن امتى وانت بتقرأ أصلًا؟!

- دا كتاب من مكتبة (حامد).. شدني فقلت أقراه، اهو على الأقل اعرف من كتبه اللي مقدرتش أعرفه عنه وهو عايش.

- هو مات؟!

- تفتكري بكل اللي بيحصل دا هو أصلًا هيكون عايش؟!

صمتت (عوّد) وبدأت ملامح وجهها الجميل تبهت وينطفئ بريقها، أخذت الدموع تسترسل، إن فؤادها يحترق، قد مات (حامد).. أمات حقًّا؟!

سألت بدهشة:

- مات.. إزاي؟! لا أنا قلبي حاسس أنه موجود، أنه عايش، مماتش لا مماتش وانت أكيد بتقولي كدا وخلاص، انت كرهك ليه هو اللي خلاك تقول كدا.. (حامد) عايش عايش أنا عارفة، أنا لسه حاسة بيه، هو بس يمكن يكون سافر أو هاجر لكن عايش، كفاية كره يا (يحيى) كفاية.

صرخ (يحيي) قائلًا:

- وهو مين اللي زرع الكره دا؟ مين؟! مين اللي كان بيقول بابي وحش يا (يحيى)؟ بابي سابنا عشان كتبه، بابي لما اتحط في مقارنة بينا وبين كتبه، اختار الكتب، بابي مبيحبناش يا (يحيى)، مين ها مين؟ قوليلي مين؟ ولا دلوقتي بقيتي انتي الملاك يعني!!

صَفعته صفعة هزته هزًّا ثم أكملت قائلة في حدة:

- اوعى تنسى إني أمك، يعني لما تيجي تتكلم معايا تتكلم بأدب.

صمت (يحيى) وأخذ يحدق بها غاضبًا، ظل يزفر في ضيق، والدموع تملأ عينيه، حتى قال بصوتٍ خافت:

- من النهاردة مبقاليش مكان في أي حتة هتكوني فيها.

ثم أدار ظهره ليهم بالرحيل، فهرولت نحوه (توليب) باكية ممسكة بيده راجية..

- متمشيش يا (يحيى).. متبقاش انت وهو، متمشيش عشان خاطري، متسبنيش.

لم يكترث (يحيى) لبُكائها، ونزع يدها من على ذراعه ثم رمق (عوّد) بنظرةٍ غاضبة وذهب..

العالم لم يكن أشد بؤسًا منك، لكنه من تسبب بكل هذا الخراب بداخلك، لن ينتهي بؤسك ما دمت تحيا به، العالم ظالم وليس بمظلوم، وإن عدلت رحمة السماء وحكمت، فستحكم عليه بالدمار لأنه غدا أصعب مكان حيث الشر الكامن في نفوس البشر..

لم يكن مُستعدًّا للبقاء لحظة واحدة أخرى، أراد بدلًا من أن تصفعه أن تحتضنه، أحيانًا الآباء يفعلون عكس ما نحتاجه، ذهب دون أن يدري أين سيقضي تلك الليلة والليالي المقبلة! ذهب خائبًا مهزومًا يملؤه الضعف، طفل كبير، تُرك بمفرده في طريقٍ يبكي، بعض المارة ينظرون إليه دون أن يشعروا بألمه..

هاتفه يصيح، فيخرجه من جيبه ويتطلع به، إنها (فريدة).. دائمًا تأتيه في أوقاته الصعبة..

- (يحيى).. انت فين؟ (مينا) بيدور عليك!

أجابها بنبرةٍ يملؤها الأسى:

- أنا تعبان، تعبان أوي يا (فريدة).

- طيب انت فين؟ قولي انت فين وأنا أجيلك.

- أنا مش عارف أنا فين.. مش عارف!

- طيب اهدا يا (يحيى).. اهدا وركز كدا.. قولي انت فين عشان اعرف أجيلك.

- لا متجيش، أنا عايز أكون لوحدي.

- لا هاجي، انت فين بس والنبي؟

- طيب أنا رايح الكورنيش.

- طيب خلاص نص ساعة بالظبط وأكون عندك، خليك عندك متتحركش.

أحيانًا حينما نكون في أوقاتٍ كتلك، نكون بحاجةٍ إلى من يبقى بجوارنا رغمًا عنا، حيث نصبح بحاجةٍ إلى أن يُعانقنا أحدهم، بحاجةٍ إلى الصراخ ثم بعدها نرتمي بصدره، بحاجةٍ إلى القليل من الدفء، والكثير من سعة الصدر، واليد التي تربت علينا بحب..

كان (يحيى) بحاجةٍ إلى حب (فريدة).. ولا نعلم إن كانت ستشن شُعلة القلب حربًا أخرى سببها الهوى أم سيبقى الحال كما هو...

بعد مرور نصف ساعة، أتت (فريدة) بكل لهفة، تبحث عنه بعينيها هنا وهناك حتى وجدته، كان جالسًا على المقعد وأمامه النيل مباشرةً، مُطأطئًا رأسه، فاقتربت منه، وعندما أصبحت أمامه، رفعت وجهه إليها بيدها ثم قالت بنبرةٍ حانية:

- مالك يا (يحيى)؟ إيه اللي فيك؟

عندما رآها، عانقها، فضمته إليها، حاولت أن تهدئ من روعه، تعلق بها، فكلاهما بحاجةٍ إلى الآخر..

- اهدا، اهدا وكل حاجة هتبقى كويسة.

- المُشكلة إن مفيش حاجة كويسة، إني حاسس إني بقيت دايمًا مُجبر ومضطر.

- يتغير الحال هيتغير مهو كل حاجة بتتغير.

- مش الحاجات اللي بتتغير، إحنا اللي بنتغير من كتر اللي بنشوفه ونتعرضلوا، فبنحسب إن الحال بيتغير لكن في الأصل إن التغيير بيصيبنا إحنا مش الأحوال.

- بس كل حاجة هتبقى كويسة.

- وكل حاجة بتهد فينا شيء كل يوم لحد ما يجي اليوم نلاقي نفسنا فاضيين من كل حاجة كنا بنتميز بيها في يوم، أنا لوحدي يا (فريدة) لوحدي.

- بس أنا معاك.

نظر إليها، وجد بعينيها نظرةً لم يرها من قبل، تلك النظرة التي تحوي الكثير، نظرة العشق الأبدي.. ثم قال:

- أنا مش سليم يا (فريدة).. مش عارف أكون معاكِ وأنا دايمًا مهزوم، خايب، مش عندي هدف ولا عارف أوصل لحاجة، تفتكري هزايمي الدايمة هتخليني اقدر احافظ عليكِ؟!

- ومين قالك إني سليمة؟! بس وجودك حتى وانت مش معايا مهون ومخليني قادرة أتحمل الهموم اللي بيزيد حِملها يوم بعد يوم، إحساسي بحبك هو اللي بيساعدني إني أقوى واستنى بكرا حتى لو كان أملي في إنك تجيلي ضعيف.

- العالم لا سايعنا ولا إحنا عارفين نلاقي نفسنا فيه، ولا نعيش مع ضغوطه وظروفه.

- بس العالم هيفضل كدا، فيه الحلو والوحش، بلاش نيجي عند الوحش ونقف محلك سر.

- بس الوحش فيه كتير.

- بس انت الحلو اللي فيه.

- تعرفي كل ما يشتد عليا الحال تظهريلي كدا مش عارف إزاي، فتلاقي ورغم إني ببقى في قمة حزني بلاقيني ببتسم.

- والله يا (يحيى) انت محلي كُل المُر رغم السواد اللي إحنا مزروعين فيه.

- يا ريت العالم كله إنتِ، يا ريت كان كل حاجة مليانة سلام زيك، أنا فعلًا غبي، غبي عشان معرفتش قيمتك من بدري.

- ميهمش أي حاجة، المهم في الدنيا دي كلها هو انت.

امتلأت عيناه بهجة، الشخص البائس الضائع الذي تحول قبل قليل إلى طفلٍ مُبهج بسام ثم تناول يدها اليسرى، وقبّلها بشفتيه الناعمتين.. تبسمت هي خجلًا، وقد سحبت يدها منه برفق، ساد الصمت الذي يأتي بعد تلك الأجواء..

وتعالت حولهم نغمات (أم كلثوم) الصادرة من مكبرات الصوت التي يضعها بائعو (حمص الشام) حولهم..

الليل وسماه ونجومه وقمره، قمره وسهره وانت وأنا

يا حبيبي أنا يا حياتي أنا، كلنا كلنا في الحُب سوا..

وأظن أني أرى أن (يحيى) قد نسي ما كان يُحزنه...

لم يكن أمامه خيار إلا أن يذهب إلى شقة الدقي أو بيت باب النصر، وإلا سيقضي تلك الليلة نائمًا بالشارع، لكنه رجح أن يذهب إلى الدقي، فإنه يريد أن يقضي في هذا المكان أغلب الوقت إن أمكن.

بعد أن رافق (فريدة) إلى مسكن الطلبة الذي تسكن فيه، كانت ساعة يده قد توقفت، فنظر إلى ساعة هاتفه، فوجدها تنجرف نحو الحادية عشرة مساءً، شعر بالجوع قليلًا، فذهب لجلب بعض الطعام، واشترى بعض الأشياء التي تساعده على قضاء هذه الليلة التي أظن أنها ستطول، ولم يكن يُدخن بل أنه يكره رائحة السجائر، لكنه اتجه إلى (السوبر ماركت) وقام بشراء علبة السجائر التي لم يعرف اسمها حتى إلا أن البائع أخبره بأنها نوع خفيف إذا كانت المرة الأولى له LM أزرق" واشترى قهوة وبعض العصائر وزجاجة مياه غازية (كوكاكولا).

وقام بتحضير كل شيءٍ لهذه الليلة..

صاح هاتفه.. إنها (فريدة)..

- إيه، وصلت؟!

- أيوة خلاص على السلم أهو.

- طيب تمام، حمد لله على سلامتك.

- الله يسلمك، هطلع كدا أخد دش وأعملي فنجان قهوة، وهرجع أكلمك تاني، متناميش ها.

- لا متقلقش هستناك مش هنام.

أغلق الخط والابتسامة على وجهه، تشرف على الاقتراب من أُذنيه، دلف إلى الشقة ووضع الأشياء -التي قد جلبها - على الطاولة، وإبان وضعه لهذه الأشياء، تذكر حينما كان يعود أبوه من عمله بوجهه البسام ويده تحمل الحلوى لهما، تذكر قبلته التي كانت تتكرر كل يومٍ في الموعد نفسه، تذكر كم احتضنه وكم كانت رائحته جميلة! يحنو عليه ويشتاق اشتياقًا جمًّا، يسخط كل السخط على تلك الظروف، وتلك الحياة التي أبعدتهم، اغرورقت عيناه وعُصر قلبه دون فائدة، فلن تعود تلك الأيام ولا يعلم إذا كان سيعود (حامد) أم ذهب بغير عودة!!

بعد أن استحم (يحيى) وانتهى من تحضير فنجان القهوة لديه، وهيأ المكان الذي سيبيت فيه، جلس يستجم قليلًا ثم تناول هاتفه وعاود الاتصال بـ (فريدة) ولكنها لم تجب، فوضع الهاتف جانبًا، وأمسك بيد فنجانه ثم رفعه نحو فمه حتى يحظى بالرشفة الأولى، وقبل أن تُلامس شفتاه طرف الفنجان، سمع شيئًا، هناك صوت يأتي من الداخل، كان جالسًا على الأريكة في غرفة الجلوس، وهناك صوت يصدر من إحدى الغُرف، فاعتدل في جلسته محاولًا الانتباه، سمع الصوت نفسه، لا أحد غيره بالمكان، قام من جلسته وتقدم ببطءٍ، يملؤه الحذر، كان يخطو نحو الصوت في توجس، وقف في منتصف الردهة التي تجتمع بها جميع الغُرف، وقام بالتنصت كي يُحدد مصدر الصوت، فانتبه إلى أنه يأتي من غرفة نومه القديمة، فاتجه نحوها، وعندما فتح الباب، .....

إنه العم (غريب) أمامه، خر (يحيى) واقعًا على الأرض فزعًا، وجه (غريب) بجسد (حامد) وصوت (حامد).. أخذ (يحيى) يزحف بظهره راجعًا للخلف، وكلما ابتعد خطوة، اقترب منه (غريب) خطوة، صوت هاتفه يعلو وما زال يُحدق بذاك الرجل الذي أتى من حيث لا يعلم، أخذ يستعيذ ويقرأ ما يتذكره من آياتٍ قرآنية، حتى صُدم بالحائط، لم يستطع الرجوع خطوة أخرى ثم وقف أمامه مباشرةً، وقال:

- مشيت انت يا (يحيى) من قبل ما أفهمك العِبر التانية اللي موجودة في سورة الكهف.

ارتجف (يحيى) وأخذت الجدران تهتز ويهتز بها كل شيءٍ دون أن يسقط، ولكن الحائط الذي اصطدم به، أخذت بقايا الدهان به تتساقط ثم نهض (يحيى) ووقف أمامه لاهثًا يرتجف، يتفحص ويتمعن به لعله يحدد هويته، أهو (حامد) أم العم (غريب)؟!

الوجه وجه العم (غريب) ولكن بجسد وصوت (حامد).. صُعق (يحيى) حينما وجد ذاك الشخص ذا الهيئة الغريبة، حاول أن يستجمع قواه بينما وقف الرجل أمامه يُحدق به وعلى وجهه ابتسامة خفيفة خبيثة، ولم يغمض له جفن ثم قال مرةً أخرى:

- المرة دي إنت مبتحلمش، المرة دي أنا قدامك فعلًا، أوعى تفكر إن الكتاب دا هيوصلك لحاجة، عايز توصل فعلًا، يبقى هناك في باب النصر مش هنا، الحل مش هنا ولا المفاتيح مكانها هنا، متغلطش غلطته عشان مصيرك زيه، غير مصيرك يا (يحيى).

صاح الهاتف تلك المرة، ركض (يحيى) نحوه، كان يريد أن يستنجد بأحد، أمسك الهاتف وأجاب.. إنها (فريدة)..

- (فريدة).. (فريدة) أنا شوفت.

- مالك يا (يحيى)؟ شوفت إيه؟ انت بتنهج ليه كدا؟؟!!

حدق (يحيى) حيث كان واقعًا على الأرض لكنه لم يجده، لم يجد العم (غريب).. لقد اختفى من حيث لا يعلم كما ظهر فجأة، هل أراه حقًّا أم أنه حُلم أيضًا؟!

- (يحيى).. (يحيى) أنت روحت فين؟ إيه اللي بيحصل معاك؟!

- مش عارف.. مش عارف ايه اللي بيحصل؟!

- سيب البيت يا (يحيى) وروح بات مع أهلك أحسن.

- لأ لا مفيش حاجة، أنا تمام بخير بس تقريبًا كان في فار.

- فار؟! فار ايه يا (يحيى)؟!

- خلاص يا (فريدة).. خلاص انا هقفل عشان هنام.. بكرا نتكلم.

- أنا مش مطمنة يا (يحيى) قلبي مقبوض.

- يا بنتي بقولك مفيش حاجة، يلا تصبحي على خير.

- طيب وانت من أهله، هستناك تكلمني بكرا.

- حاضر حاضر، يلا سلام.

- سلام.

أغلق الهاتف وأخذ يبحث عن الكتاب، كان معه لكن لا يتذكر أين وضعه، بحث عنه في جميع أنحاء البيت ثم دلف إلى غرفة المكتب ليبحث عنه فيها، وقد وجده على المكتب، لكنه لم يدخل تلك الغرفة منذ لحظة وصوله، الأمر لم يزدد سوءًا بل ازداد رعبًا، ماذا يحدث؟ لا يدري!

أمسك به وتساءل داخل عقله؛ كيف أتى الكتاب إلى هُنا؟!!

جلس على الكرسي الذي يوجد أمام المكتب، وفتح الصفحة التي قد توقف عندها قبل ذهابه، وبدأ يقرأ...

الصفحة الخامسة...

أخذتُ أقلب بين تلك الأوراق حتى وجدت ورقة أقدم من تلك الأوراق التي بين يديّ، كانت مطوية وقد قمت بفتحها، فوجدتُ بها تلك الرسالة..

"إن موائد المُتع جميعها تنصب أمامك، كل شيءٍ مُسخر ويُكدس لك منذ خلقك، كل الرغبات لا نهاية لها ولا تشبع منها ولن تنفد، ستُحرر من أغلال عالمك ويُفتح المجال أمام زمام شهواتك، أتريد المنصب، الأموال، النساء، القوة، المسرات، المُلك؟! سيكون لك ما تُريد، لقد انحنى قبلك الكثير وسال لُعابهم ولم يتحضنهم عالم وجاءوا إلينا، خاضعين عبيد، ملكناهم وعززناهم، والآن أمامك فرص، فاغتنمها ولا تكن كالبُلهاء الذين أضاعوا الكثير من الفرص قبلك، اليوم هو يومك، فإما أن تنعم وإما أن تشقى، نحن لسنا كباقي المخلوقات، جئنا كي نولد ونعيش ونموت هباءً، في الحياة مُتع تغفلُ عنها ويغفل عنها الكثيرون، ولقد جئناكم بموعد النصر، بموعد الحياة، بموعد التمتع بغير المتاح، لماذا تقف وسط الطريق هكذا؟!!

اترك الحيرة والحقد البشري، وذل الحاكم وعبودية المحكوم، وتعال معانا، تعال سنصطحبك إلى عالم الغيبيات، عالم الفضاء الواسع الذي لا شمس فيه ولا نهار، الذي لا قتل فيه ولا شرور، ليس فيه سوى المتع والنعيم، هيا هيا لتنعم هيا..

لن أخفي عليك شيئًا، بينما أقرأ تلك الكلمات، شعرت بالخوف يُبث داخلي، جسدي اهتز قليلًا، وكأنه قد فقد توازنه ولا أعلم لماذا!! أظنها كلمات عادية، ولكنها ليست بعادية، شعرت أن الأمر يزداد ريبة ولم يخمد فضولي بل اشتعل أكثر، قاطعتني حينها زوجتي بطرقاتها للباب، وصوتها بينما تُناديني لكني حتى لم أُجبها، لم أستطع، لكني كنتُ أُجيبها دون أن تسمعني، وازدادت طرقاتها للباب، وعلا صوتي بإجابتها، ولكن لم تسمعني أيضًا، أتعلم ذاك الشعور عندما تظل تصرخ بأحدهم بينما لا يراك أو حتى يسمعك؟! توقفت طرقاتها وتوقف صوتها، أردتُ أن أنهض من مجلسي وأخرج من الغرفة، لكن كأن قدميّ قد شُلتا، فلم أستطع النهوض، أخذتُ أُعافر وأحاول وأُعيد المحاولة، ويزداد صراخي، لكن دون جدوى، لم أشعر بعدها بشيء، أظن أني تغيبت عن الوعي حينها، ولا أتذكر ما حدث، وجدتني فجأة في صباح اليوم التالي مُستلقيًا على الفراش بينما كانت زوجتي وولداي ملقون على الأرض، أيديهم خلفهم مُقيدة بأحبال، من فعل هذا بهم؟ لا أعلم! ماذا حدث البارحة؟ لا أتذكر!

نهضت في فزع، وهرولت نحوهم وبدأت في حل قيودهم لكنهم كانوا يشعرون بالرعب مني.. ولا أدري السبب!

ثم أخذت زوجتي تطيح بي وتصرخ بوجهي، ما فهمته من صراخها؛ أنني من فعل بهم هذا، ولا أعلم كيف ومتى فعلت تلك الفعلة! ولم أتذكر حتى إلى الآن، أصابني شيءٌ كأنني كنت تحت تأثير الكحول أو المخدرات، لكني لم أتناول أي شيء، أظن أنني كنت تحت تأثير شيءٍ لا أعلمه.

منذ تلك الليلة، رفضت زوجتي البقاء معي لحظة أخرى، وصفتني بالمعتوه والمجنون، وحتى لم يكن في مقدرتي الاقتراب من ولديّ اللذين كانا يختبئان مني خلفها، وكانت هناك نظرة بعيني ابني، تحمل الكثير من الخوف والغضب والكُره، فلم أتحمل هذا الزخم من النظرات التي كانت بأعينهم، فهرولت إلى غرفة مكتبي وأوصدت الباب خلفي ثم سقطت على الأرض باكيًا، مرت لحظات وسمعت باب البيت يُغلق، فخرجت من غرفتي مهرولًا نحوه، وجدت (عوّد) قد رحلت برفقة ولديّ، فحاولت اللحاق بها قبل أن ترحل، وحينما حاولت الركض، تصلبتُ مكاني، لقد شُلت قدماي عن الحركة مرة أخرى، فلم أستطع اللحاق بهم، فاتجهت إلى غرفتي، ونظرتُ إلى تلك الأوراق وأمسكتُها، أردتُ أن أُمزقها، شعرت أنها من تسبب في كل هذا، لكن لم أستطع فعل ذلك، وكان هناك من يُقيدني ويمنعني من فعل أي شيء، لم أستطع فعل أي شيء...

الصفحة السادسة..

ولقد انجرفت، وازداد تعلقي وتعمقي بتلك الأوراق، مضيتُ حبيسًا بغرفتي، لم أذهب إلى عملي، ولم أذهب حتى إلى زوجتي وولديّ، ولم يكن بوسعي فعل أي شيءٍ غير قراءة تلك الأوراق، وجدت في هذا الأمر آيات عجيبة عن الجحيم، ولم أكن أفهم ما تعنيه، لكني وجدت في هذا الأمر، لذة غامضة مليئة باللهو، لقد أذاقتني الحياة من العذاب صنوفًا، لا تعلموها، لكني كنت أختبئ حول لياقتي وشكلي المُهذب وربطة عُنقي، وسرعان ما أدركت أن هذا الطريق، لن يجدي نفعًا، وأن عمري قد ضاع وانقضى دون أن أشعر بلذة متعة واحدة، نصف عمري، ضاع في استبداد أبي، ذاك الاستبداد الموروث من الأجداد، والنصف الآخر، ضاع في التعليم والسنين التي قد تآكلت من عمري لأجل التعليم، وأصبح مثلي كمثل العامل، والسنوات الباقية في عمري، قد ضاعت في جني المال كي أستطيع أن أعوض ولديّ، ولا أجعلهما يعانيان مثلما عانيتُ أنا، والآن قد سنحت لي فرصة؛ ألا أغتنمها؟! أتركها تذهب هكذا دون حتى خوض تلك المغامرة! ألح عليّ فضولي الذي يعتبر العدو الأول للمرء، فقررتُ أن أنعم..

في تلك اللحظات، سمعت جرس الباب يدق، فحسبتها (عود) قد عادت، فهرولت بلهفةٍ وفتحتُ الباب، لكنها ليست (عوّد).. إنه البائع، بائع الكتب

الذي أعطاني تلك الأوراق، لماذا أتى؟ وكيف عرف عنوان منزلي؟ لا أعلم، نظرت إليه مبتسمًا ابتسامة، لم تُشعرني بالراحة ثم تحدث إليّ قائلًا:

- اسمي الخديوي، دا اسمي مش لقب، عارف إنك في ورطة الفترة دي، فقلت أما أجي أشقر عليك.

ازدادت حدة التعجب لدي، من أين أتى هذا الرجل؟! وكيف علم أنني في ورطة؟!!

أكمل قائلًا:

- طيب مش هتضايفني يعني ولا انت بخيل؟! وسع يا راجل إيدك كدا، خليني أدخل.

أزاح ذراعي الذي كان يمسك بالباب ودخل، جال بالشقة ثم عاود التحدث إليّ قائلًا:

- يا راجل في حد يعمل في مراته وعياله اللي انت عملته دا؟!

- نعم! وانت عرفت منين؟!

- ما هو انت متعرفش إني كنت موجود ليلتها.

- كنت موجود! إزاي؟!

- أيوة كنت موجود، وأنا اللي مسكتك لما معرفتش تقوم من مكانك، وأنا اللي مخلتهاش تسمعك، وأنا بس اللي في ايده يبيعلك راحة البال أو الشقا.

- انت! انت مين؟!

- أنا اللي اختارتك وأنا اللي هيسعدك.

- أيوة يعني انت مين؟!

- أنا صاحب الكتاب اللي في إيدك دا، ومصاحب نفسك الضعيفة، وأنا اللي مستعد أجبلك الدنيا كلها تحت رجلك.

- أنا مش فاهم حاجة! انت عايز مني ايه؟!

- الطاعة يا (حامد).. الطاعة والعبادة وبس، ومن ناحيتي كل اللي تحتاجه من قبل ما تفكر فيه هيكون بين ايديك وتحت رجلك، بس يوم ما تخلف هتشوف الجحيم بعينك، أنا الفرصة، وانت عليك تختار، يا تتنعم يا تشقى دنيا وآخرة.

الصفحة السابعة...

أردتُ النعيم وقد قبلت...

أما الآن، فحان موعد الحساب، لم أكن أعلم أن النعيم سيكون من جمر جهنم، الآن تكون آخر كلماتي، لم يعد لحديثي بقية، لقد خالفت طاعته، خضعت وعليك ألا تخضع مثلي، قد زال نعيم المُتع، ولم يتبقَ سوى الشقاء والعذاب الذي ينتظرني..

المفتاحان ستجد لهما طريقين؛ الطريق الأول، يوجد في بيتي القديم بالدقي، والمفتاح الثاني، طريقه في بيت الخديوي، ابحث عنه، ستجد هُناك ما تُريد معرفته، أعلم أن حكايتي انتهت سريعًا.. (المنفلوطي) استطاع أن يعود، لكني أردتُ أن أسلك الدرب نفسه الذي سلكه (محسون).. لذا فمصيري كمصيره، لذا إن اختفيت، فاعلموا أني لن أعود..

لستُ سيئًا لكني بشري، أطماعي جعلتني خاسرًا، ولم أفز بشيء، أتمنى أن تسامحني زوجتي وولداي، ليتني أخبرتهم بتلك المعاهدة التي قد أبرمتها مع (غريب) والتي أدفع ثمنها غاليًا، حان الوقت لتعرف هوية الخديوي، أليس كذلك؟! وأظن أنك قد علمت، إنه جزءٌ من كل شخصٍ فينا...

١٥/ ١٠/ ٢٠١٤

حامد عبيد الجابري...

ما زلتُ أعاني من آلام الصداع المُزمن...

تحدث (عيسى) قائلًا:

(يحيى).. لازم تيجي المشرحة بسرعة!

ركض (يحيى) كالمجنون، كل ما يُريده أن يصل إلى المشرحة بأسرع وقتٍ ممكن، ماذا يجري في تلك الأيام غريبة الأحداث؟!!

هل سينتهي كل هذا العبث أم رُسمت متاهة جديدة؟!

حالة من الهلع والاضطراب، تسكن ذهنه..

٢٥ يناير، الساعة الواحدة ظهرًا..

بداخل ثلاجة الموتى، يقف (يحيى) بجانبه (عيسى) و(مينا).. حارس الموتى يلقي السلام عليهم ثم يطرق باب الثلاجة مرتين وانتظر لثوانٍ، بعدها قام بسحب باب إحدى الحجرات، وأخرج ما بداخلها، جثةً مُلتفة مُمددة على بساطٍ حديدي، يسحبه الحارس إلى الخارج ثم يقوم بحل الثوب الأبيض ليكشف عما بها، رائحة عفنة تفوح منها، جثة مشوهة، يصعب عليهم التعرف عليها، من هذا؟! أرجل هذا أم سيدة؟! ما علاقة (يحيى) بتلك الجثة؟!

قال (عيسى):

- لقوا الجثة دي مرمية على أول طريق منطقة كرداسة، واحد شافها مرمية، فبلغ الشرطة والقسم هناك عملوا محضر وحولوا الجثة لهنا، وقبل

ما يكون عندنا خبر بأي حاجة، حولوها للطب الشرعي، والجثة اتشرحت ولما عملوا تحليل ال D.N.A عرفوا إنها جثة.. جثة (حامد).. (حامد عبيد الجابري)!!

صفعة جديدة تطعن قلبه، صرخ بهلع، ضرب رأسه بالحائط حتى جُرح، لم يكن يتمنى أن يجده جثة من دون ملامح، جثة قد انسلخ عنها جلدها، كيف سَيُعلم (عوّد) و(توليب)؟!

كيف سيتخطى هذا الأمر؟!

كيف يحتمل كل هذا؟؟!!

ماذا فعل (حامد) حتى يموت بهذا الشكل البشع؟!

مع من كان يتلاعب؟ من الذي فعل تلك الفعلة القاسية؟!!

الساعة تميل نحو الخامسة..

ساعات من النهار و(يحيى) يسير بمفرده في الطرقات كالمخبول الذي دهاه شيءٌ، قد أصاب عقله، إنه كان شاردًا طوال الطريق، وذاك الذي يحدث معه من ظروفٍ مُتهالكة، دار بذهنه الكثير من التساؤلات التي لا نهاية لها ولا إجابات، الساعة القادمة، ماذا سيطرأ عليها من مُعضلات وعقبات ليحمل على عاتقه ضغوطًا إضافية، خمس سنوات وبعدها يجده جثة، لن تُمحى صورته، يصعب على المرء أن يذهب منه شيءٌ، لا يشعر بقيمته إلا بعد زواله، لا أعلم لمَ لا ننتبه لما نملكه إلا بعد زواله! ولمَ لا نستفيد من

كل ثانيةٍ في أعمارنا حتى نقضيها مع أحبائنا كي لا نحزن أو نندم بعد رحيلهم؟!

فإن الحزن لن يُفيد ولن يُرجع الندم ما ضاع مِنا...

٢٦ يناير، مدافن عائلة (عبيد الجابري)..

قد جاءهم زائر جديد..

لقد ودعه الجميع، وانقضت مراسم العزاء، وعاد الجميع، ولم يعد (حامد)..

ذهب وترك بداخلهم جرحًا آخر، لا يزول أو يلتئم، فمن سيضمد تلك الجراح، كُلٌّ يبكي على ما يُحزنه، والجميع يشعر أنه قد أخذ معه نصف قلبه ونصف عمره ونصف روحه وترك لهم كل الحُزن..

الجميع قد عادوا إلى منازلهم، وعادت (توليب) و(عوّد) إلى (جاردن سيتي) وما زال (يحيى) جالسًا أمام قبر أبيه، لم يبكِ، كان صامتًا طوال الوقت، السواد يكسوه لكنه لا يشعر بشيء، إنه الحُزن المؤجل للحظة الاستيعاب ثم تأتيه من بعدها لحظات انهيار، منا من ينجو منها، ومنا من تقضي عليه دون أن نعلم ما إذا كان (يحيى) سينجو أم سَيُقضى عليه!!!

قال (يحيى):

- أنا عارف إنك زعلان مني، وعارف إني مكنتش ليك الابن اللي انت عايزه، مش هلومك يا بابا، مبقاش ينفع لا عتاب ولا لوم، بس أنا كنت

بدأت أفهم، استكترت عليا ألاقيك واترمي في حضنك، مكفكش سنين الحرمان اللي عدت من غير ما قلبي يتملي بريحتك، انت فاكر إن بعدك عني كان سهل، أنا مشوفتش غير عذاب من وقت ما سيبنا البيت، كل السنين اللي عدت من عمري معرفتش أتخلص من اللي جوايا، طيب كنت استنيت شوية، ولو دقيقة أحضنك فيها وأسمع صوتك بس، حتى الدنيا استخسرت فيا دقيقة واحدة بس أقضيها معاك، أنا آسف سامحني، رغم بُعدنا وإني لما كان حد بيسألني في المدرسة أو الجامعة: بابا فين؟ كنت بقوله: ميت.. بس أول مرة أحس بمعني اليتم، أحس إني متعري من غير سند، أول مرة أعرف إن رغم بعدك بس كنت ساند قلبي، مكنتش أتمنى إن كل دا يحصل، نص عمري ضاع مني وانت بعيد والنص التاني هيضيع على حزني عليك، سامحني أرجوك، أنا آسف، آسف يا بابا، آسف..

كم هو شعور مؤرق أن ينساب منك كل شيءٍ في لحظة لا تُريدها، إن الحياة ليست طويلة، لذا يجب عليك أن تنتبه لكل الفرص كي تقضيها مع أحبائك، ليتنا نعلم شعور الفقد قبل أن نخوضه، ليتنا نعلم ما ينتظرنا في جراب الغد، ليتنا تشبثنا بلحظاتٍ كُنا بها سويًّا، ليت أعمارنا تتضاعف حتى نعيشُ معًا وقتًا أطول.

لِمَ لا تُنحى عني آلام الرأس تلك؟!!

البشر يتغيرون وتسير الأمور بشكلٍ مختلف عما نرغبه..
هناك بالحياة أشياء تفوق طاقتنا..

قرر (يحيى) أن يستكمل ما قد بدأه حتى إن لم يكن يقترب من الحقيقة، لا بد أن يرحل الحزن ويُنحى جانبًا وتعود الحياة إلى مسارها الطبيعي، فلا موت يوقفها ولا جُرح يُعيد ترتيبها..

خرج (يحيى) من المدافن مُتجهًا إلى باب النصر، رغم أنني كنت أظنه سيذهب إلى (الدقي) مرة أخرى لكن ليس كل ما نظنه يحدث..

السؤال الأهم هنا؛ لمَ لم يحضر (غريب) عزاء (حامد)؟ أليس صديقه المقرب؟!!

شغل (يحيى) هذا الأمر، فلم يره إبان الدفن، من الجائز أنه لم يصله الخبر، وكيف له أن يعلم إذ لم يخبره أحد بالجديد الذي طرأ، اتجه مباشرةً إلى المقهى، وسأل (كنكة القهوجي) عنه، فأخبره قائلًا:

- والله يا صاحبي من يوم ما اداني المفتاح أديهولك وأنا مشوفتوش.. مش عارف راح فين، بس جايز سافر البلد.

- طيب بيته فين؟!

- لا ماعرفلوش عنوان.

- إزاي يعني؟ هو مش من أهل الحي؟!

- لا يا باشا، عم (غريب) زبون القهوة لكن مش من هنا، وما عمروش سكن هنا.

- طيب بلده دي فين؟!

- علمي علمك والله، اللي أعرفه إنه صعيدي، غير كدا معرفش.

ازداد الريب بنفس (يحيى) ثم وضع يده في جيبه، وأخرج هاتفه وأتى بصورةٍ ثم قال:

- طيب انت تعرف الراجل دا؟!

- أيوة أعرفه، كان بيجي كتير مع عم (غريب) بس تملي كان بيقعد ساكت كدا وسرحان، ومحدش يعرف عنه أي حاجة ولا حتى اسمه.

- يعني مصادفش ان عم (غريب) نداله باسمه أبدًا؟

- والله يا صاحبي، أنا لو أعرف حاجة هقولك، معرفش غير إنه صاحبه.

- يعني مش دا الخديوي صاحب البيت في آخر الشارع؟!

- الخديوي؟ لا بردو معرفش.

- إزاي انت من أهل المنطقة ومتعرفش؟!

- أهل المنطقة عارفين بعض، لكن الناس الأغراب منعرفهمش، احنا بيعدي علينا أشكال كل يوم، انت عارف الحتة دي بالمناطق اللي حواليها مليانة سياح وناس بتيجي تتمشى وبيجوا على القهوة ياخدوا واجبهم ويمشوا، فأكيد مش هنركز مع كل اللي بيجي، كل اللي أعرفه إنه قعد فترة يجي مع عم (غريب) وبعدين بقى يجي عم (غريب) لوحده، غير كدا معرفش.

- طيب يا كنكة.. تسلم.

وماذا بعد؟ لقد طرأت أمور أشد عجبًا، منذ البداية ولم يشعر (يحيى) نحو ذلك الرجل (غريب) بأريحية، يؤمن منذ اللحظات الأولى أن هناك شيئًا، لم ينكشف بعد، ولكن ازداد الأمر صرامة بداخل (يحيى) وقرر أن يُكمل ما قد بدأه ويصل إلى معرفة كل شيء، اتجه قاصدًا بيت الخديوي معتقدًا أن خلاص الأمر هناك وسيصل إليه، حينما وصل، اتجه مباشرةً حيث الغرفة السرية، أضاء المصابيح، وأخرج من جيبه ما معه من مفاتيح ثم أخذ يُجرب كل الأدراج المغلقة بالمكتبة والمكتب الصغير بها، لكن لم يفلح في فتحهم، وحينها تذكر جملة (غريب) حين قال:

- اللي أعرفه إنه كان بيشيل الورق بتاعه في دولاب أوضة نومه.

فهرول تجاهها، وأمسك بجميع المفاتيح وحاول فتحها، وبالفعل فُتحت، اهتز (يحيى) قليلًا وبدأ بفتحها ببطءٍ شديد، وعندما فتح الخزانة، وجد ورقة مطوية، لم يكن بها سوى تلك الورقة، فأخذها وظل يتطلع إليها قليلًا ثم اقترب خطوة من الفراش الوثير، وجلس عليه ثم بدأ بفتحها، تبدو وكأنها ممزقة من أحد الكتب، نوع الورقة لم يستطع تحديده، وقد بدأ في قراءتها..

تملأه مشاعر الخوف والقلق وعدم الأريحية، لكنه لم يتراجع...

إذا أردت أن تنتقل لهذا العالم، يجب أن تخلد إلى سُباتك أولًا ثم تقوم بتلفظ بعض الكلمات التي تجعل روحك تتهيأ للانتقال عبر الظلام، فتدخل عالمًا غير عالمك، وعندما تستفيقُ، ستخرج من هذا العالم وتعود إلى واقعك الذي أنت به، وفي كل مرة تخلد للنوم وتقرأ تلك الكلمات، ستخرج روحك إلى هذا العالم، ولن تستفيق إلا حين انتهاء رحلتك بهذا العالم..

ردد إذا أردت رؤيتي..

أنا هنا لأجل رؤيتكم، وأمضي معكم ما تمضون إليه، أنا هنا لأن موعدي ببدء رحلتكم قد حان، سأتبع ما تتبعونه، سأرى ما ترونه، سأسلك ما تسلكونه، يا سيد هذا العالم الغامض الغير مرئي، أنا هنا أطلب اللجوء، أرني ما لم أره، وعلمني ما لم أعلمه، أنا هنا لأطيع أوامركم، خذوا من قوتي إن أردتم، ولكم مني ما تُريدون، أنا هنا عبد ذليل خاضع، يريد أن يتودد، فلا تردني...

سنجتاز معًا عالمًا مختلفًا تمامًا عن عالمك، ليس ببعيدٍ عنا، سيتبين لك أنه عالم مُعقد، ولكنه بسيط بالنسبة لأصحابه وسُكانه ومن يعتنق مذاهبه، ولكن بالنسبة لكم (بنو آدم) بساطته هي قمة تعقده، ستجول معي في آفاق مُختلفة، ليست بعادية أو مألوفة، ما ستراه لن يكون مألوفًا، ولن يتقبله عقلك، لكنه قد حدث وموجود، وستُفضل لو أن يسنح لك لتبقى بهذا العالم الذي به ما يلذ لنفسك المتمردة، التمرد هنا والتحرر من كل قيدٍ يُقيدك، فعل أي شيء، السبيل من الهروب من عالمك لتعبر إلى عالمٍ آخر، تظن ألا وجود له، لكنه موجود، ويمكن لك عبوره وقتما تشاء، لكنك لا تعلم كيف!

بداخل حياتك حيوات أخرى، ولكن تخفى عنك، هنا ستشاهدها، فإن لم تكن تُريد، فغض الطرف بعيدًا عن حديثي، وارفض مُصاحبتي ولا تعود لسطوري مُجددًا، وإن أردت أن تُكمل معي، فيجب عليك أن تؤمن حق الإيمان بأن ما ستعلمه لاحقًا قد حدث، ولكن لم تعلم عنه شيئًا، مثلك مثل الذين أتوا قبلك، وما علمته سأُعلمك إياه، لذا رافقني بكل أريحية وفضول، سنخوض عالمًا جديدًا معًا..

وها قد بدأت للتو رحلتنا، رافقني بشغفك وفضولك وانتباهك كي نسير وسط الظلام، سنمضي بين ممرات نفوسهم، ولكن سيرنا سيكون خفيًّا، فاستعد للتخفي والتلصص على ما مُنع عنا...

"فبأي أرضٍ نحن؟.. وبأي زمن؟.. ما تبقى من الأرض من وقتٍ لا نعلمه، يجعلنا نتحدث عنه اليوم بغير ما نعلم في أي وقتٍ قد حدث، سنتعايش هُنا ونُرافق أرواحًا تُشبهنا وأرواحًا مُختلفة كُل الاختلاف عنا، لذا عليك أولًا أن تحل روحك من عُقدة التمسك بجسدك، واجعلها تُرافق ذاك العنان بغير حمل تحمله وهو جسدك، لسنا بحاجةٍ إلى أجسادنا، لا بد أن تنسى عالمك هُنا وتعيش عالمًا آخر، اترك عقلك حتى على منضدتك أو في درجك، وأزل عن عاتقك أي شيءٍ يُقيدك وهيا."

الآن سأُثرثر معك قليلًا كي يمضي الوقت حتى نصل إلى وجهتنا، عليك أن تعلم بأن الجان هُم أول من سكنوا الأرض، أظنك تعلم أن من قبل وجود الخليقة على بساط تلك الأرض، وهناك خلاف دائم وقائم بين معشر النار ومعشر الطين.. بداية قد قام بين أحد المخلوقات وهو (مخلوق النار) ورب المخلوقات (الخالق الذي لا إله غيره)..

حيثُ جاء في وقتٍ بعينه مُخالفًا لأوامر خالقه مُحدثًا بنبرة وعيد بأن يجعل جموع البشر ينجرفون وراءه.. مُلبين لنداءاته.. مؤمنين برغباته.. سالكين دروبه.. تابعين لخطواته.. كافرين بأوامر الخالق.. ظن مخلوق النار أنه أفضل من مخلوق الطين، وامتنع عن السجود كما أُمِر من الخالق، البعض أو الأغلب يظن أن الخالق أراد من مخلوق النار ومخلوقات النور أن يسجدوا لمخلوق الطين (آدم).. هناك أمر مُختلط، أراد الخالق الإله الواحد الأحد أن يسجدوا له، لجلالته، أن يسجدوا لعظمة وقدرة الخالق، لم يكن طلب السجود لمخلوق الطين بل كان للخالق.. فأبى مخلوق النار أن يسجد لخالقه..

ثم بدا في نصب خداعه حول مخلوق الطين، وأخبره بشجرةٍ، إذا أكل منها ثمرة، دام له نعيم خالقه وتخلد على الرغم من تحذير الخالق لمخلوق الطين بألا يقترب من تلك الشجرة إلا أنه قد استجاب لذلك المخلوق، لم يصدقه مخلوق الطين في بدء الأمر، لكن الناري أقسم له بعزة الخالق، فتكهن الأخير بأنه قد أقسم، إذًا فإنه لا يكذب، فأكل منها وقد حدث ما حدث، حدث أمر جعل البشرية بأكملها تَسخط على ذلك المخلوق المُخادع اللعين.. ولم يُطرد مخلوق الطين فقط، بل طُرِدَ معه ذاك الناري

ومكث في الأرض يغوينا.. ومنذ ذلك الحين وهناك عداوة قائمة بين معشر الطين ومعشر النار.. أحدهم يعيش على بُساط تلك الأرض جهرًا، كافة النعم والكون بأجمعه مُسخر له.. والآخر محجوبًا، يشعر به مخلوق الطين بينما يوسوس له بخداعه، لكن دون أن يراه، لا نراه بأم أعيننا حقًّا، ولكنه يوجد أحيانًا حولنا ونراه دون أن نعلم أنه الناري، لا يراه إلا خالقه (رب هذا الكون).

لكن السؤال هنا:

لِمَ لم تقم تلك العداوة بين الناري ومخلوقات النور، وهم لهم الأفضلية، لا طين ولا نار بل نور؟!!

- إن هذا العالم الذي نسير به، لم يكن بحزين أو بغيض، لم تكن تلك مُعضلته، ولكنه مخفي عنا، لذا نتوجس منه، فنحنْ الشيء الذي لا نراه أو نعيشه أو نعلمه، إما أن يجعل الخوف يجلسنا، فلا نتجاوز حدود هذا العالم، وإما أن يُثيرنا الفضول نحوه، فنتجاوزه حتى نعلمُ ما وراء هذا الخفي.

في مكانٍ لم يُذكر له اسم، ولم يُوضع له وصف حتى نستدلُ عليه، كُل ما هُناكَ، أن هُناك حدث قد حدث، يقول البعض بأنه حقيقة، والبعض الآخر يقولون بأنه مجرد أسطورة، وآخرون يقولون بأنه إحدى القصص التي اختلقها مجذوب، وبين هذا وذاك، تتوه الحقيقة...

حدث لم يذكره التاريخ ولن يذكره لأنه لا يُريده، حدث قد سُجِل على ورقة قديمة، تُشبه ورق البردي، وجدت في إحدى المقابر القديمة..

نُقشت عليها قصة، لا يعلمها إلا من عاصرها، إحدى القصص التي تدور بين مخلوق الطين والناري، لكنها تختلف كثيرًا، تختلف.. في القصص السابقة والآتية، كانت وما زالت تحدث إثر العداوة القائمة بينهما، لكنها تختلف عن تلك القصص، أظنها حكاية ملعونة، لذلك لم يذكُرها التاريخ ولا تَسردها السير، لا نعلم ولكننا سنعلم، فلا يستطيعُ الزمان إخفاء شيءٍ مهما أخفاه، يأتي وقت بعينه، يفضح ما قد أخفاه الزمان في جعبته..

"بين كل خيطٍ رفيع، هناك دومًا بيننا نقاط فاصلة."

"رحلتنا ستبدأ من الصحراء عبر الظلام والأرواح، ولكن أعلم أن هذا العالم، لا يعتمد على الوقت أو الزمان، ستجدنا نجول هُنا وهُناك، نعيش الماضي والحاضر في آنٍ واحد، لا وقت يُعتمد ولا زمان يُحسب ولا أي شيء."

انظر هُناكَ أحد يعبر الصحراء مهرولًا، لا بد أنه هارب من شيءٍ ما.. أتراه؟!

جسد نْحيل مُرتجف.. إنها فتاة، يبدو على ملامحها المشقة والإجهاد، مُغطاة بتراب الصحراء.. خطوات مُتقدمة هَزيلة، تجمع بين الإجهاد والخوف.. تلهث وتبحث عن نجاة..

"هيا بِنا نُلاحقها، ولكن احذر أن يرانا أحد، إذا كُشف أمرنا سنهلك حتمًا، ولن نتمكن من معرفة شيء."

وصل بها الركض إلى بلدةٍ نائية بسيطة، تكاد تكون مُنعدمة.. يتضح أن أهلها يتضورون فقرًا.. بيوتًا مُتهالكة.. وبرغم هذا، لا ترى على ملامحهم السخط، بل كان الرضا يملأ وجوههم، تجول بينهم وتنظر إليهم، تتمعن بأوضاعهم المُنعدمة وأحوالهم بعين الشفقة، وشفاهم لا يُفارقها الابتسام، كيف هذا؟ لا أعلم!

أخذت تجول في أنحاء تلك البلدة باحثةً عن سيدها (حاكم البلدة) فأرشدها أحد العوام إلى حيثُ يوجد ذاك السيد..

- هُنا، في هذا المكان ستجدي سيدنا.
- هُنا؟!!

- نعم، فهذا مسكنه.

بيت من الطين مُتهالك، تعجبت من هيئته، لا يبدو أنه مسكن سيد يحكم بلدة.. بل يبدو كأنه منزل أحد العوام المُنعدمين، وكأن الفقر مُعلق على جدران ذاك المسكن، حتى أنه لا يوجد خادم على بابه..

تقدمت خطوات قليلة حتى وقفت أمام الباب مباشرةً ثم بدأت بطرقه..

"نحنْ سنقف خلف الباب حتى نعلم ما سيدور هُناك."

أجاب السيد:

- من؟! من بالخارج؟!!

- إنني أحد السائلين يا سيدي.

فُتح الباب ثم نظر إليها تدريجيًّا، ولكنه لم يسمح لها بالدخول ثم قال:

- أخبريني ماذا تُريدين؟!

- لمَ لم تسمح لي بالدخول؟!

- إنني بمفردي هُنا، ولا يصح أن يجتمع رجل وامرأة بمفردهما.

- ولِمَ لا يصح؟! ألا يوجد أحد من الخدم هُنا؟!

- إنني لا أملك خدمًا.

- ولِمَ؟! ألست سيد تلك البلدة وحاكمها؟!

- ما خلقنا الله وولانا على عباده حتى نستعبدهم، لا فارق عند الخالق بين سيدٍ وسائل، الجميعُ سواء، الجميعُ بشر، فقراء في الدنيا.

- عجبتُ لأمرك حقًّا! أين حُراسك؟ أين الجواري والخمور، والذهب والفضة؟ أين قصرك؟ أين عرشك؟ أين الحرير الذي تتنعم فيه؟ أين الجواري المُلتفون حولك؟ أين نعيمك أيها السيد؟!!

- أي نعيم هذا؟ لا نعيم بالدنيا، فكل نعيمٍ في الحياة زائل.

- هناك أمر أود معرفته، أأنت سيد تلك البلدة حقًّا؟!!

عقد حاجبيه واعتدل في وقفته ثم قال:

من أنتِ؟ أظنك غريبة عنا!

إنني (مَلوذ).. أسمعت عني؟!!

(مَلوذ).. ابنة الأمير (إنتير).. أمير البلاد؟!!

أومأت دلالة على الإيجاب.. فقال:

عُذرًا يا أميرة، فأنا لم أعلم، ولكن ما هذه الملابس التي ترتدينها؟! وما كل هذا الإجهاد؟!!

سأُعلمك بكل شيء، ولكن عليك أولًا أن تجمع جيشًا ويكون على أهبة الاستعداد لأي هجومٍ من العدو، وأن تعد العتاد أيضًا وأن.....

ثم نظرت إليه وسألته:

- أتملك جيشًا وعتادًا أم أن حال جيشك كحال مسكنك؟!!

ابتسم السيد ناظرًا إلى الأرض قليلًا ثم قال:

- نملك جيشًا وعتادًا.

- إذًا أرني جيشك، لا بد أن نكون مُتأهبين لأي شيءٍ، يطرأُ علينا.

- لكِ ما تريدين، أفضل أن تستريحي قليلًا حتى أعطي للجنود خبرًا، وتُبدلي تلك الملابس ثم بعدها سأصطحب جلالتك إلى الساحة.

- لكنني بحاجةٍ إلى إحدى الخادمات حتى تقوم بمساعدتي.

- أخبرتكِ يا أميرة بأنه لا خدم هُنا، سأُرسل إلى إحدى السيدات حتى تأتي لمُساعدتك لكنها ليست بخادمة.

نظرت إليه نظرات استفهامية ثم زفرت في ضيقٍ وذهبت من أمامه، فاتجه إلى بيت إحدى سيدات البلدة، يستأذنها في مساعدة الأميرة، وأخبرها بأنها ضيفة، بعثها حاكم البلاد حتى تطلع على أحوالهم، وبعدها ستصطحبها إلى الساحة.. ثم ذهب إلى الساحة في انتظار الأميرة..

بالطبع أنت لا تعلم من (مَلوذ) ولكن لن أكشف لك أمرها الآن، أظن أننا سنمضي وقتًا ليس بقصيرٍ هُنا.

"بكل زمانٍ شيطان يُنصب على ذلك الزمان، يغوي معشر الطين حتى يتآكلون في حِمم النار، ويظل معشر الطين يعلمون أنه عدوهم الأول والأخير، وتلك العداوة حية، لن تموت إلا بموت الأرض وفناء الدنيا."

تحول العالم، تلتفُ السماء بسرعة، وفي غفلةٍ ذهبنا وسط الظلام إلى مكانٍ آخر، هناك حدث لا بد أن تحضره، سنعود لتلك البلدة مُجددًا، ولكن بعدما أريكَ شيئًا.

"وقف الجميع يتلصص، يشعر أنه مسلوب الإرادة، فمعشر الطين إذا تملكهم الخوف، قيدهم دون قيد، تلك المُعضلة الموجودة في كل عصرٍ وكل نفسٍ خلقت من طين إلا من رحم خالقها، ولكن لا بد من نهاية لهذا الهراء العبثي الموروث في النفوس، فالكون مستمر في التقلص وتلك البُقعة السوداوية المُسماه بالدنيا بها مزيج من القسوة والاشمئزاز وجنون الملذات الدنيوية الزائلة، تلك الدنيا هي مكان قاسٍ لأبعد الحدود ومُعترف بقساوتها في كل زمان..

"حرب قائمة بين الطين والنار"

المُقيد مخلوق النار، والمُكبد مخلوق من طين..

معركة جديدة، خسر فيها مخلوق الطين وانتهى الأمر بشنقه.. الكاسب كان الناري، الخاسر كان الأمير (إنتير) الذي التفت حوله حيلة خداعية جديدة من مخلوق النار، استدرج فيها (إنتير) حتى وقع في الفخ، وانتهى الأمر بنهايته، لكنه لم ينته بعد..

ها قد عُدنا لتلك البلدة، أرأيت (مَلوذ) كيف تتطلع إلى الجنود وتتفحص العتاد؟ أرأيت مهاراتها في ركوب الخيل؟ تحثهم على التأهب كأن هُناكَ عدوًّا يقترب كي يغزو تلك البلدة النائية، أيُعقل أن العدو سيعنيه شأن بلدة صغيرة المساحة منعدمة الثروات كتلك، ويترك تلك البلاد الأخرى التي تغمرها الكنوز؟!

قالت (مَلوذ):

- لم يُخيل لي أنني سأجد بتلك البلدة النائية، كل هذا العتاد وذاك الجيش المنيع، فكيف لك هذا؟!!

أجاب السيد:

- لا تنخدعي بهيئاتنا يا أميرة، فأهل تلك البلدة، لديهم كل شيء، ولكنهم يستغنون.

- أي غنى هذا؟! ثم هيئاتكم! كيف تحسب نفسك منهم؟!!

- لا أحسب نفسي، إنني منهم حقًّا، وأنا وأستعيذُ من تلك الكلمة، لستُ بسيدٍ عليهم، كل ما هُناكَ أنني قد نُصبت لمُساعدهتم بأمرٍ من ربي ورضا منهم، أحمي حقوقهم، إذا ظلم أحدهم آخر، رددت للمظلوم حقه، أحمي الضعيف، واليتيم أكون عونًا له، لهذا خُلقنا نحن، إن الغنى يا أميرة غني النفس..

- من تقصد بقولك (نحن)؟! إنك إن لم تكن مُخادع، فقطعًا ستكون مخبولًا!!

- أقصد بها نحن البشر، مخلوقات الله، الخالق الإله الواحد الأحد، خلقنا نحن كي يعم في الأرض الخير، إنني لستُ مخبولًا، وأعلم أنكِ لن تُصدقينني.

- ألم تنتبه إلى شيء، منذ أن عرفت أنني (مَلوذ) ابنة أمير البلاد، لم أسمعك تُخاطبني بأميرتي بل تتحدث معي قائلًا: يا أميرة.

ثم نهضت من جلستها واقتربت منه حيث كان يقف، ووضعت يدها اليمنى على كتفه اليسرى، وأكملت مُهمهمة:

- ألستُ أميرتك يا أنت؟!

ابتعد عنها خطوات ثم التقط أنفاسه في تَريُثٍ، وقال:

- لقد أصبحتِ أميرة حقًّا، لكن لا تمارسي نفوذكِ عليّ.

زفرت في ضيقٍ وتلون وجهها البسام المُبهج، وغدا عابثًا.. ثم أكمل حديثه قائلًا:

- سأترك لكِ المنزل اليوم كي تستريحي قليلًا، وغدًا سآتي إليكِ كي تُعلميني بما أتى بكِ إلى هُنا!!

- وكيف لي أن أقضي الليل بمفردي، بدون حرس؟!!

- أخبرتكِ أنني لا أمتلك حرسًا، لكنني سأستأذن أحد الجنود أن يمضي الليل في الخارج حتى تطمئني، ولكن عليكِ أن تطمئني، فأهل تلك البلدة، يتسمون بالأصالة والكرم.

- أنت غريب حقًّا!!

- أعلم أنكِ لن تتفهمي علاقتي بهؤلاء الناس، كما أعلم أنكِ لا تعلمين عن أمر البلاد شيئًا، لكن أباكِ جعل الشر يتفشى في البلاد، وأنا هُنا أحاول بكل الطرق أن أجرف هذا الشر الذي يكسو البلاد بعيدًا عن بلدتي وأهلي، ولقد نجحتُ في هذا بعون إلهي.

- أعلمُ أن خطأ والدي فادح، يجني منه كل الناس الآن فقرًا ووباءً وفسادًا، لكنني لم أكن مُنعزلة بقصري وبعيدة عن العوام، بل كنت معهم طوال الوقت.

- اهدئي يا أميرة، فلا داعي لهذا الانفعال.

ثم استأذن منها وهمّ بالرحيل، وذهب إلى مكانه المُنعزل هُناك، وسط الجبال، حيث يرى السماء وكأنه يُلامسها، يرى النجوم دون حواجز تفصل بينهم، لا بد أنه سَيَبيت هُناكَ الليلة حتى يَنظر بأمر الأميرة في الصباح..

"أتعلم أن لـ (مَلوذ) سحرًا شديدًا، يسيطر على قلوب الرجال، تقدم لزواجها جميع أعيان البلاد وأمراء وغيرهم، جميعهم عشقوها دون رؤيتها، تؤثر عليك عن بُعدٍ حتى وإن لم تُخالطها، عزلها والدها في قصرٍ بعيد عن بلد الإمارة لأنها تسببت في موت أحد الجنود بعد أن علم الأمير (إنتير) أن هذا الجندي يكن لها عشقًا في فؤاده، تقدم لخطبتها، حين ذاك ثار الأمير وظن أن (مَلوذ) كانت تجاريه، فحكم عليه الأمير بالسجن حتى يتأدب، وأبعد (مَلوذ) عن البلدة ثم علم بعد ذلك أن الجندي لم يردع وما زال ينطق اسمها وينادي بطلب الزواج منها، فقام الأمير بالقضاء عليه وقُطع رأسه وسط الميدان كي يكون عبرة لغيره."

سَولت له نفسه أن يتحدث بداخله عن الأميرة:

- سَمعتُ عنها كثيرًا، ولكن خدعتني الحكايات ولم يُخبروني بأنها أجمل ما قد خُلق، وكأنها إحدى النجمات اللامعة التي تنزلت من السماء كي أحظى بها، كأنها لا تُشبه البشر في حُسنها، قد فاق جمالها حد الجمال، لم أستطع تحمل سطو عينيها والنظر إلى مُقلتيها، كنت أشعر أن قلبي يذوب، آه من تلك الحسناء!

ثم انتفض قائلًا:

- كيف تسمح لنفسك أن تتحدث هكذا؟ عد إلى رُشدك، لا تتبع أهواء النفس يا فتى.

ثم صفع وجهه وتنهد ثم خلد إلى النوم..

أترى أنه قد بدأ للتو تأثير (مَلوذ)؟! مهما كان العابد مُتمسكًا بمُعتقداته وصلبًا أمام المُغريات، فلا بد أنه يهتز قليلًا بالأحرى أمام فتاة بهذا الحُسن والصوت العذب، سينساق حتمًا وإن كان في صلابة الجبال، فحتى الجبال تأتي عليها وقت وتخور صلابتها..

"الآن أظن أنه يجب علينا الرحيل عن تلك البلدة والذهاب إلى مكانٍ آخر، أعلم أن أسئلتك كثيرة، لكن كل شيءٍ ستعلمه وتجد إجابته وتكتشف هذا بمفردك، أنا فقط أصطحبك في جولةٍ لا أكثر، نعم سنرحل قبل أن نعرف ما أتى بـ (مَلوذ) إلى هُنا، لا تتعجل ستعرف كل شيءٍ، ولكن في موعده."

***

انتقالنا لا يكون بعربة أو خيل، لكن يكون عبر الظلام، عبر الليل والنهار المُختبئين..

الآن نحن في (سيمران) مملكة الملوك، أرضُ الأحلام كما يقول العوام، بها أشياء مُبدعة الصنع، براقة المظهر، هنا يوجد فقط طبقتان من الناس (الطبقة العُليا، والطبقة الدنيا) أصحاب الطبقة العُليا هم السادة، وأصحاب الطبقة الدنيا قطعًا هم العبيد، تلك المدينة بها كل كنوز الدنيا، لكن لا يتمتع بها سوى الطبقة العُليا (الأمير وأعوانه وحاشيته، والتجار، وكل من يمتلك مالًا أو جاهًا أو منصبًا) بينما الطبقة الدنيا لا يتمتعون بشيءٍ سوى القسوة والفقر والذل والعبودية، هنا هم الخدم وعليهم فقط الطاعة، سنجول قليلًا بتلك المدينة، تعرفني أحبُ الثرثرة لكن لن أطيل، سأخبرك فقط بهوية أمير البلاد، وبعدها سنرى ما يحدث هنا.

تخطو بقدميك في قلعة الأمير (إنتير).. أميرُ البلاد، أترى تلك الأسوار العالية؟! ذلك الثراء الفاحش؟ الأنوار المُضيئة في كل مكان؟! أترى تلك الأعمدة شاهقة البُنيان؟! أظن أنه أراد أن يصل حد السماء بتلك القلعة البيضاء، قلعة مُرصعة بالفضة في كل رقعة بها، أظن أنها تشبه تلك الأساطير القديمة، الفارق هو أننا نراها بأم أعيننا أم الأساطير نسمعها فقط ممن يتلوها!

(إنتير)

ورث الإمارة عن أبيه الأمير (كابر) الأكبر، كان الأمير (كابر) عادلًا مُلتزمًا بقواعد الإله العادلة، فقد صار على نهج أجداده من الأمراء السابقين الصالحين..

كان يقول: "إن العدالة أمر إلهي، يبثه الإله في نفوسنا حتى نفشيه بين العامة وينعم بها جموع الخلق، وإن المُلك دائم ما دامت النفس عادلة وما دام الخير يحيا بنفوسنا."

كان خير من تولى الحكم عكس ولده الأمير (إنتير)..

كان (إنتير) شابًّا في مطلع العقد الثاني، يتمتع بالفروسية والفراسة، كما كان فارسًا بارعًا جذابًا وطموحًا، وما أدراك من طموحه! عيناه كعيني الذئب، نظراته دومًا غاضبة، لا يبتسم، لا يمرح، لا يفعل أي شيءٍ سوى أن يثمل ويُعاشر الجواري، كان مُنشغلًا قليلًا عن أحوال الناس، لكنه لم ينشغل عن التجارة، والحصول على المال والخيرات والكنوز..

"يبدو أن هُناك احتفالية اليوم في ساحة المدينة، هيا أسرع قليلًا كي نُشاهد."

قد اجتمع أهل المدينة جميعًا في الساحة، يبدو أنهم يحتفلون بشيءٍ ما، هُناك حدث..

هُناك في تلك القمة، يجلس الأمير في شموخ مُعظم بصُحبة حراسه وأعوانه، تقدم أحد الحُراس يُخبره بأن هناك شخصًا يود مُقابلة جلالته.. ثم أشار الأمير للحارس أن يتوقف عن الحديث، وهم بالنهوض، فأشار لهم الأمير أي اجلسوا، فجلسوا.. ثم اتجه إلى حيث يوجد هذا الرجل..

"من الذي قطع على الأمير احتفاليته؟ هيا لنرى.. تمهل قليلًا حتى لا يرانا أحد."

رجل عجيب المظهر، عيناه منخفضتان، جسده يرتجف من هيبة الأمير ثم بدأ بالتحدث بنبرة خوف:

- طاب يومك يا أميري، جئتُ إلى جلالتك حاملًا أمرًا مهمًّا.

- ماذا هُناك؟!

- جاءتني ريحٌ عاتية، حَملت مرسالًا إلهيًّا، أخبرني بأن آتي إلى هُنا كي أخبر جلالتك بأن هناك أحدًا في انتظارك سيحقق لك مُرادك وكل ما تتمنى، وأن ما تتمناه لا يخفى عليه، وإن خفي عن العالمين.

- أي مُرادٍ هذا الذي تتحدث عنه؟ ومن ينتظرني؟ ومن أنت؟ لا بد أنك لص!!

- لا لا يا سيدي، لستُ لصًّا، إنني أحد العرافين وكُلفت أن أحمل لك تلك الرسالة وأعلمك أنه سينتظرك غدًا في الجهة الشمالية عكس قبلة قلعتكم.

- وما الذي يجعلني أصدق؟ لمَ لا تكون خديعة لقتلي؟!!

- أقسم لك يا أميري على أنني لم أكذب.

- حسنًا سنرى ما إن كنت صادقًا أم لا، فإذا ثبت صدق قولك ستنعم حتمًا، وإنما إذا ثبت خداعك، لن يحمل جسدك رأسك ساعة أخرى.

ثم التفت الأمير للحارس مُشيرًا له أن يأخذه قائلًا:

- دعه يبقي بصُحبتنا الليلة حتى نرى صدق قوله.

حاول الرجل في إذلالٍ أن يتوسل للأمير كي يتركه وأجهش بالبكاء ثم أخذ يصيح بأنه صادق وعلى حق وبينة.. ولكن هيهات، فلم يسمع له أحد وقد جُر ووضع في غُرفةٍ مُغلقة حتى يأذن الأمير بغير ذلك..

لم يكن الأمير يتهاون في أي شيء، فإذا كنت تخدعه فسيُصيبك بطشه، وما يُدريك من بطشه وغضبه، يمكنه أن يسلب منك حياتك إذا اقترفت خطأً، ولو كان بسيطًا..

"سننتظر حتى نرى من بانتظار إنتير."

***

"وبالنفس شيطان يراودها عن فعل الحماقات، شيطان يود سقوطك في بئر العذاب، يضخ خداعه المميت في العسل، ويصورها لك في أجمل الصور، لكن هيهات!"

عهد عقد الصداقة..

لم نسمع يومًا عن صداقةٍ تُبرم بين مخلوق الطين ومخلوق النار، لكن هُنا وفي هذا العصر وفي عهد هذا الأمير (إنتير) صداقة قد أُبرمت حقًّا..

كان الأمير (إنتير) يُفكر دومًا في ازدياد نفوذه ونفوذ حكمه في كل بقاع الأرض، لم يكن يود أن يقتصر على تلك البلاد التي يحكمها فقط، بل كان يسعى إلى أن يغدو سيد تلك الأرض وما تحمله بجعبتها من كنوز، وماعليها من خلق، يُريد أن يستحل كل شيء، وقد غزا عدة بلاد وأحدث فتوحات كثيرة سعيًا وراء هذا المُراد، جيشه به آلاف الجنود، يلتهم ثروات أي بلدٍ يغزوها، كان بطشه شديدًا، يهرول صوب أي شيءٍ يُساعده في علو ملكه ونيل ما يُريد..

كان (إنتير) يستعد إلى الذهاب ويتحدث مع حارسه..

قال الحارس:

- إنني لستُ مطمئنًا، أظنها خديعة يا مولاي!

- ليست خديعة، لقد لمستُ الصدق في حديث هذا العراف وسأذهب.

- سآتي معك لحمايتك يا سيدي.

- لا سأذهب بمفردي، لا تقلق.

- ولكن يا مولا.....

قاطعه الأمير بنبرةٍ صارمة:

- انتهى الأمر.. سأذهب بمفردي.

***

"هُناك بعيدًا يوجد ظل، لا يتضح إذا كان خيالًا لفتى أو رجل لكنه مجرد ظل، يوجد لك عند كل طريق.. يلازمك دومًا، بأنفاسك وخطواتك، لا يغفل عنك لكن لا تشعر به، إنه هُناكَ بداخلك، لن تعثر عليه لكنك تشعر به دون أن تراه، إنه روح تحيا بغير جسد، بغير هيئةٍ مُعلمة، فقلد حُرمت عليك رؤيته، إنه مجرد صوت خافت لكنه مُزعج في الوقت نفسه، لا يسمعه سواك، سيظل.. لن تفارقه ولن يُفارقك."

عند باب القمر، ينتظرُ (إنتير)...

في ظلمة الليل، ذهب الأمير بمفرده ينتظرُ ذاك الشخص الذي سيأتيه.. الأجواء صامتة، لا أحد سوى الأمير.. صمت الليل يسود، وحده لا أحد سواه، الصحراء مُضيئة بنور الليل الخافت ثم يظهر شيءٌ متوهج، ليس له ملامح لكنه مخيف ثم بدأ يقترب نحو (إنتير) شيئًا فشيئًا، يرتدي شيئًا طويلًا ينسدل على وجهه الذي لم يتبين منه شيء حتى الآن، الأجواء صامتة تمامًا، و(إنتير) صامت.. صمت يُنذر بعاصفة، ظل يحدق بهذا الشيء.. ثم مال على (إنتير).. نظر إلى عينيه مباشرةً مُتحدثًا:

- ألا تعرفني؟! إنني شيطانك أيها الأمير!

كان (إنتير) يتطلع إلى عينيه، بهما ظلمة الليل بل أشد، إنهما متوهجتان مُخيفتان، وقف لبُرهة ثم اتسعت عيناه من هول ما رأى وهرول محاولًا الابتعاد قدر المُستطاع، ظل يركض ويصيح:

- رأيته أمامي، رأيت مسخًا - بأم عيني - يُحدثني!

وظل يركض بغير وقوفٍ لكن دون أن يصل إلى أي شيء، حتى وجده أمامه مباشرةً بعدما كان خلفه ثم قال:

- إلى أين تتجه؟! أتنوي الهرب مني؟

سقط (إنتير) على الأرض محاولًا جمع شتاته ثم قال بنبرةٍ مرتعبة:

- أتوسل إليك أن تتركني.

- وكيف لي أن أتركك بعدما جئتُ بكَ إلى هنا؟!

- جئت بي إلى هنا!

- اليوم قد بعثتُ لك أحدًا من عبادي ليستدرجك إلى هنا، وقد نجح الأمر، فكيف نطلق سراح الفريسة بعدما أوقعنا بها؟! ألا تجد نفسك قد أخطأت حيال هذا؟!

حاول (إنتير) الوقوف لكنه سقط، حاول الفرار مرة أخرى لكن خطواته ثقيلة كثقل الذي حمل على عاتقه جبالًا.. ثم سقط مرة أخرى..

نظر إليه وجسده يرتجف، قد يكون أشبه بقطعة ثلج ثم قال:

- من أين أتيت؟!

- قد أتيتُ من أقصى بقاع جهنم.

ساد الصمت لبُرهة ومعالم الذعر تملأ ملامح (إنتير).. لا بد أنه قد شابَ من هول ما يراه ثم حدثه ذلك الشيء مُجددًا صاحب الصوت الغليظ قائلًا:

- أنت المختار يا أمير، فلقد وجدنا جميع شروط المختار فيك، اخترناك حتى نملكك كل شيء.

حاول (إنتير) الوقوف، فذاك الوسيم مفتول العضلات، أصبح كطفلٍ مذعور من شدة الهوان الذي أصابه ثم قال مُرتجفًا:

- أي مُلكٍ تتحدث عنه؟! أتمنى أن يكون هذا كابوسًا، فلا يعقل أني أتحدث مع قطعة نار!

- يجب عليكَ أن تهدأ، فأنا صديقك.

- إنك شيطان، جن، مسخ ملعون!

ثم عاود (إنتير) الفرار مُجددًا وقد تركه خلفه، هذا ما خُيل له، شعر أن الأرض تدور وكأن تلك الصحراء قد أُغلقت عليه ثم سمع ذلك الصوت الغليظ، صداه يتردد في الأنحاء قائلًا:

جئتني لتبحث عن مُرادك، ولن أدعك ترحل دون أن يُلبى.

توقف (إنتير) عن الركض في تلك الدائرة المُغلقة، وأخذ يلهث ثم استدار قليلًا، وقال بينما يتثاءب بشدة:

أي مُرادٍ هذا؟!

مُلك الأرض، سأجعلك سيدها، أليس هذا ما تتمناه؟!

لم يلبث (إنتير) حتى قال:

- أخبرني بما تريد.

- أنت تريد مُلك الأرض، وأنا سأملكك إياها، سأعظمك وأمجدك وأملكك الأرض وما تحمله في جوفها، وما عليها من كنوز وبشر، لكن كل هذا لن يحدث بغير مُقابل.

بدأت نفس (إنتير) الأنانية تُراوده، لا يعنيه مع من سيتعاقد، لكن الأهم أن يصل إلى ما يُريد، إلى (مُلك الأرض).. فقال

- وماذا تُريد؟

- إننا سَنُملكك الأرض مقابل هذا، يجب عليك أن تكون لنا عبدًا مُطيعًا، تفعل ما تؤمر به بغير جدال، بغير سؤال، بغير رفض.

لم يفكر (إنتير) وأجاب قائلًا:

- لك ما تُريد.

- هكذا دون تفكير، إن الأمر ليس بهذا اليسر يا أمير، ليس هُناك رجوع ولا أسمح بالخطأ، ستفعل كل ما نُكلفك به وإن خالفت أوامري، فستُحرق في لهيب غضبي، أو قد تذوب وتفنى كأنك لم تكن يومًا، فإن بطشي يخفى عنك.

لقد خدعته المُغريات، واجتمعت تلك الوعود الشيطانية مع النفس الضعيفة، خدعة جديدة ونفس ضعيفة، قد أطاعت وخرت مُستجيبة.

- ستجدني عبدًا مُطيعًا، ولن أخلف لك أمرًا، وكلما أعطيتني، أصبح مُطيعًا أكثر.

اقترب منه وحدثه ببطءٍ بأنفاسٍ مُلتهبة متوهجة قائلًا:

- أنت مُجبر على طاعتي.

شعر (إنتير) بالخوف ثم قال مُرتجفًا:

- أعدك أن صداقتنا ستدوم.

ضحك هذا الغليظ حتى رج الفضاء من حوله، وأصيبت الأرض بهزة ودب الرعب في قلب (إنتير) ثم قال بصوته الأجش:

- يجب عليك أن تعلم أنني رب علي عرشي، فلا صداقة بين الرب وعبده، لا صداقة بل توجد طاعة، فقط طاعة.

ابتلعَ (إنتير) ريقه ثم أومأ مُتفهمًا بينما اتسعت عيناه، لم يكن كابوسًا، بل حقيقة..

- الآن ستذهب إلى قصرك، لا تُعلم أحدًا بما رأيته، وغدًا تأمر بإخلاء سبيل ذلك العراف الذي قد أخذته أسيرًا، وحينما يأتي الغد، لا تتذكر من البارحة شيئًا، إلا الطاعة فقط، حسنًا يا (إنتير).

- قبل قليل كنت تناديني.. يا أمير.

- أنا هُنا الرب والسيد، وأنت تطيع، والآن اسجد.

تعجب (إنتير) ووقف لبُرهة، فقد تبدل الحال، منذ قليل كان (إنتير) مُعظمًا، الآن قد غدا ذليلًا ثم خر ساجدًا، فلقد ملأ الخوف نفسه لكن أنانيته قد طغت على خوفه.

- إنك عبد مطيع يا (إنتير) الآن قد فُتحَ لك المجال، فهيا ارحل.

رَكبَ (إنتير) حصانه وأخذ يركض به في الصحراء كأنه يُريد أن يختفي عنها في لمح البصر، ما حدث معه حقيقة، وما سيحدث معه يظنه نعيمًا، لكن النار لا تُنبت ورودًا...

"أرأيت هذا الحديث الذي دار؟! إني حقًّا مُندهشًا مثلك تمامًا، لا أعلم كيف تقبل (إنتير) هذا الأمر! قطعًا كان يعلم الشيطان أن (إنتير) ذا النفس الضعيفة، سيستجيب له، فأنانيته وتمرده قد أوقعا به، هناك أناس يصورون الشيطان بأنه يمتلك قرنين وأظافر عفنة طويلة، وذيلًا ووجهًا قبيحًا، لكن أرأيت ما رأيناه؟ هذا لا يوصف غير أن جميع القُبح قد اجتمع به، جميع الفزع يستقر في هيئته، جميعُ الشر الذي بتلك الحياة قد وجد مستقره بذاك الشيء، نعم إنني أتساءل مثلك، لا أعلم لمَ خلق رب الكون وربه كل هذا القبح وتلك الهيئة الملتهبة!

هيا بنا نجد لنا مكانًا مناسبًا، نختبئ به حتى مطلع الصباح، أظننا سنرى العجب العُجاب هُنا."

***

بيننا عداوة دائمة قائمة، لا نهاية لها..

- قد يجب عليك التوقف واستيعاب ما مر.

يجب أن تُدرك أنك غدوت شخصًا غير الذي كان.. لقد أطلقت عنان الذئب البشري بداخلك، وتحالفت مع عدوٍّ لا يؤمن.. انجرفت كثيرًا عن أكاذيب عالم المثالية الذي يتظاهر به هذا الكون.. غدت كل الأكاذيب حقيقة صادقة، تحمل الكثير من الأساليب لتقنع عقلك الأبله بتصديقها..

فمن أنت؟!

لا بد أنك كنت شخصًا بريئًا ذات يوم.. قد يكون في ذاك الزمان أو في زمانٍ آخر.. قد يكون قبل ولادتك.. أي جرمٍ فعلت حتي يجلبك رحمها إلى تلك الحياة العفنة التي تخفي في جرابها من الثعابين والديدان ما يكفي لإخافتنا وتوقفنا عن العيش؟!

فمن تكون؟!

أين أنت منك؟!

أين أنت من كل هذا الهراء العبثي؟!

ما زال الحديث بيننا قائمًا.. لكن لا تجزع، لست أنا من يجعلك تخاف..

****

"أخذنا الزمن في جولةٍ أخرى إلى تلك البلدة النائية، لا بد أنه يُريد أن نعرف شيئًا، ظننتُ أننا لن نعود إليها مُجددًا، ولكن ليس كل ما نظنه يحدث."

مكثت (مَلوذ) في تلك البلدة خمسين يومًا، وبدأت تتعايش مع الأجواء هُناك، قد قصت على ذاك السيد ما حدث في بلادها من فوضى وفساد، فلقد انقلبت الأمور رأسًا على عقب، ولم تعد تحت السيطرة، وقد ساد الهلع بعد انقلاب الحُراس على (إنتير) فالبلاد هُناكَ، لم يعد بها مأوى تحتمي به بعدما ماتَ والدُها، فقررت الهروب خوفًا من أن يُصيبها ما أصاب والدها..

من جهةٍ أخرى، قام السيد بتأمين منزلٍ متواضع حتى يكون مسكنًا لها بعدما علم بنية بقائها بتلك البلدة، وأحضر إحدى الفتيات حتى تعينها، وتكون وصيفةً لها بشرط ألا تأخذها خادمة..

"لا تُحدق بي هكذا، فلم أعلم عن أمر الانقلاب شيئًا، أحدث انقلاب في سيمران؟! أين ومتى؟! أراد الزمن أن نعرف بهذا الأمر، لذا أخذنا من سيمران، وأتى بنا إلى هُنا، الأمر يتشعب ولم أر له نهاية قريبة بعد، هيا، تعال كي نرى ما حدث هنا في غيابنا."

تطور وتبدل الأمر بينهما، أصبحت رؤيتها تشعره بالسعادة، وغدت تُصاحبه في تلك الجولات التي يقوم بها لتفقد أحوال البلدة وأحوال أهلها، هُناك أمر يحدث في الخفاء، يحدث بداخل كُلٍّ منهما، شيء لم يتم الإفصاح عنه، نعم قد حدث هذا في خمسين يومًا فقط، فتأثير (مَلوذ) لا يحتاج كثيرًا من الوقت، فيكفيها يومًا واحدًا فقط، لكن يمكن القول بأنها قد شغلته قليلًا عن إنجاز بعض المهام، لكنه يحاول دومًا ألا ينساق وراء سحرها الذي لا يُشبه شيئًا، ويحاول أن يغض الطرف عن تلك المُقلتين المليئتين ببريقٍ، يُشبه بريق النجوم المتوهجة، حاول قدر المُستطاع ألا

ينساق وراء هذا الجمال العذب الخلاب، لكنها حاولت أيضًا أن تقترب منه رويدًا رويدًا، إن كان هو لا يعلم ما حدث له، أظنها تعلم ما تُريد..

سألت (مَلوذ):

- أما زلت تغض النظر عني؟ ما بك؟! لمَ لا تطلع إليّ؟!

- ليس بي شيء يا أميرة، ولكن.....

- صمت مُجددًا! حسنًا.. لا يعنيني.

ساد الصمتُ قليلًا ثم عاودت الحديث قائلة:

- إني قد مكثتُ هُنا ما يُقارب خمسين يومًا، وفي تلك المدة، لم أسمع أحدًا يُناديكَ باسمك، أتملك اسمًا؟!

- أملك اسمًا يا أميرة، أُدعى (عارف).

- عارف!

شعر أن قلبه يذوب حينما خرج اسمه من بين شفتيها، فهنيئًا باسمه الذي تلفظت به شفتاها..

- لمَ العجب؟!

- إنك غريب حقًّا، لا تشبه بقية البشر.

تبسم (عارف) ثم همّ يستأذنها فى الرحيل بحُجة اقتراب الليل، فرغم أنه يحاول التملص من انجذابه إليها، إلا أن كل شيءٍ به يندفعُ صَوبها، ويزال ثابتًا أمامها..

لا شيء يحدث عبثًا، فكل الأيام وما بها وما تحمله في جعبتها، يمهد لنا دروبًا أخرى سنسلكها.

إذا أردت أن تعشق، فاعشق ملاكًا..

قد خلا بنفسه كعادته، غدت (مَلوذ) ملاذه، أصبحت مُسيطرة على وجدانه وفكره بل وعلى نبض قلبه، أحقًّا حدث؟! هل دب في فؤاده عِشقها؟ أحقًّا حدث ذلك؟!!

وإن كان قد حدث، ما العمل إذًا؟! ماذا سيفعل؟ ماذا سيحدث؟ هل ستتقبل الأميرة هذا الأمر؟! هل ستسعد بما يكن لها أم سينقلب كل شيءٍ عليه؟!!

تلك متاهة العِشق، تُصيب النفس بالحيرة والشتات، كالذي يسير دون أن يصل إلى أي شيء، نقاط واضحة لكنها غير مُمهدة، إنها متاهة، لا تدري إن كنت ستفوز في النهاية أم تتملكك الخسارة بعد كل هذا العناء!

"لمَ تعترض وترفض هذا؟!

يا رفيقي، أليس (عارف) ببشر؟!

ألا يحق لفؤاده أن يتملكه الهوى حتى وإن كان عابدًا عارفًا بالله مُلتزمًا بالقواعد المنصوصة؟!

لا أعلم لمَ ترفض هذا الأمر! أعلم أن هُناك شيئًا غريبًا يحدث، أظن أننا سنعلمه عما قريب، لكن يجب عليك أن تعلم أن (عارف) قد هوى ولا حيلة له في هذا.

الآن استعد.. يجب علينا أن ننتقل إلى سيمران."

*****

"اجتياز الظلام أمر غير طبيعي.. أعلم ذلك، لكن تعجبت من الانتقال عبر الظلام، ولم تتعجب من كل الذي رأيته! فقد أضحكتني يا رفيق."

لا يأتي الشقاء إلا من النفس الضعيفة الطامعة في امتلاك كل ما ليس لها...

أول أمرٍ طُلِب من (إنتير) أن يولي ذاك الرجل العراف الذي كان قد ألقى به في السجن على (بيت المال).

قام (إنتير) بتلبية هذا الأمر ثم أُمِرَ مُجددًا أن يجرد حارسه الأقرب من منصبه، لكنه اعترض قائلًا:

- ولِمَ أجرده من منصبه؟ فإنه حارسي والأقربُ لي، ولم يفعل أي شيءٍ، يجعلني أفعل هذا معه!

- ألم أُخبرك بأن تُلبي ما تؤمر به بغير جدال؟!!

- إنني لا أُجادل حقًّا، ولكن يمكننا أن نجعله حليفًا لنا.

- لنا!! ماذا تقصد بحليفٍ لنا؟!!!

- أقصد.. أنا وأنت.

وإذ بهذا الشيء يتضخم شيئًا فشيئًا، متحولًا إلى حممٍ مُلتهبة، جعلت الفضاء حول (إنتير) يشتد سخونةً، لم يكن يتحملها ثم زفر زفرةً، أطاح لهيبها بـ (إنتير) بعيدًا ثم قال بصوتٍ مخيف:

- إنتيير، يجب عليكَ أن تطيعني فقط، أنا هُنا من يحدد كل شيء، أنا من يمتلك هذا الكون في قبضته، من يتحكم في كل النفوس وكل شيء، أنا هُنا الإله (بنكيران).. في عقيدتي توجد طاعة فقط، وإلا جعلتُ جسدك يَبيتُ في أعماق حممٍ، تجعل عظامك تتآكل وأنت حي.

- حسنًا، حسنًا، لا تغضب، لن أُجادل، سأفعل ما تُريد، دعني أرحل الآن، لن يحدث هذا مجددًا، ولكن دعني.. دعني.

ثم بدأ هذا الشيء في التقلص مرةً أخرى، وهدأ اللهيب المُشع منه ثم قال:

- لا تخف يا (إنتير).. إنك عبدي ولن ألحق بك الأذى، لكن يجب عليك أن تفعل ما تؤمر به كي تنعم، الآن ارحل، حسنًا اترك لي أمر هذا الحارس، يجب أن تعلم أن هذا آخر لقاءٍ بيننا.

- آخر لقاء! كيف وماذا سأفعل بدونك؟!

- تريث يا عبدي، فلن أتركك، سأكون بقربك دومًا، لن تخطو خطوة واحدة إلا بعد أن أوجهك إليها، وكل شيءٍ ستفعله سيكون بأمرٍ مني، لا تخشى شيئًا سوى غضبي، وتذكر هذا.

أومأ إنتير مرتجفًا ثم أدار ظهره لهذا الشيء وهمّ بالرحيل، فإذ بالأرض تهتز بشدة تحت قدميه، الكون كله كأنه يُرج رجًا، فاستدار قليلًا لكنه لم يجد شيئًا خلفه، فحاول أن يلتقط أنفاسه ثم توقفت الأرض وأخذت تدور وتدور بينما يتحرك في الهواء هنا وهناك ثم توقف دورانها، حاول (إنتير) الوقوف والتقاط أنفاسه ثم أخذ يجول بنظره هنا وهناك ولم يجد شيئًا، فمضى إلى الأمام ناويًا العودة إلى قصره ثم فجأة وجده أمامه، عينان مُخيفتان.. تجمد (إنتير) بمكانه وكُتمت أنفاسه ثم اقترب منه هذا الشيء، وقال بصوتٍ مُنخفض ورذاذٍ يملؤهُ اللهيب:

- أأذنتُ لك بالرحيل؟!

- يا سيدي، لقد قلت: ارحل، وهذا آخر لقاء بيننا.

- ثم تحدثنا، وبعدها استدرت ومضيت دون أن أطلب منك الرحيل، أأذنتُ لكَ؟

فخَر (إنتير) ساجدًا باكيًا مُستنجدًا طالبًا الرحمة..

- انهض يا (إنتير) فسأعفو عنكَ هذه المرة، لكن احذر أن تخطئ فى المرات القادمة، هيا الآن ارحل.

ركض (إنتير) مسرعًا إلى قصره ليحتمي به، لكن هيهات من تلك الحماية! وبرغم كل هذا الرعب الذي بداخله، لم يتراجع حتى، بل يُريد امتلاك الأرض، هكذا يظن..

في الصباح الذي يلي تلك الليلة، دخل الحارس الأقرب إلى جناح الأمير، فلقد رآه أمس في حالةٍ غريبة.. وسأله قائلًا:

- ما بك يا سيدي؟!

- ليس بي شيء.

- البارحة، ظللتُ أبحث عنك ثم فجأة وجدتك دالفًا من باب القلعة مهرولًا كأن هُناك شيئًا ما!

- قلتُ لك ليس بي شيء.

- حسنًا يا سيدي.

ثم خرج الحارس من الجناح، وبدأ الأمير يُفكر فيما سيفعل مع حارسه، فهو لا يستطيع أن يفعل شيئًا بدونه، فهو كاتم لجميع أسراره، والأهم من

كل هذا، أنه يحب الأمير حقًّا، ولا يُريد شيئًا سوى مُرافقته، ليته كباقي الحراس ليسهل على (إنتير) الاستغناء عنه لكنه غير ذلك..

"أظن أن (إنتير) سيظل حبيسًا طوال اليوم في جناحه، إنه في وضعٍ لا يُحسد عليه حقًّا، لكن هذا ما جناه على نفسه، لم يتراجع لحظة وما زال مُقدمًا على ما يفعله، أعطاه (إنتير) النعيم، والآن سنرى ما يُفعل به."

"لم تسيطر على نفسك الضعيفة المليئة بالبغض والأنانية، تركت ذاتك لمن استعبدها دون أدنى مقاومة منك، إنكَ لم تُجبر على شيء، وكل ما فعلته قد فعلته بمحض إرادتك، وكل الدروب المُعاكسة، قد اخترت أن تسلكها، لا تُحاول أن تُمارس هوايتك في إنه قد تم خداعك، لن أمسك بدمعاتك بل سأتركها تسترسل كما تُريد، من أراد شيئًا وحصل عليه، فعليه أن يدفع ضريبة كل هذا بمفرده.

أتعشم ألا تكون قد مللت ثرثرتي، لكنني كثيرًا ما أفكر في أمرٍ مُحير، مد الله ذاك الناري بالقدرة على فعل أشياء، لا يفعلها غير الله جل جلاله، كأن يجعل الأرض تنبت وقتما يأمر بذلك، كأن يُنزل من السماء مطرًا، كأن يجعله (إنتير) يملك ما لا يملكه هو حتى، كأن يطلق على نفسه إلهًا، مذ بداية الأمر، يعلم الله أنه سيغوي الكثير من بني البشر، ويعلمهم فردًا فردًا، فلمَ لم يردهم إليه وتركهم ينجرفون وراءه؟! لمَ لم يسلب من ذاك الشر القدرة الذي أعطاه إياها؟! لمَ تركه الله ليغوينا ويجرفنا إلى أقصى بقاع جهنم؟! أعلم أنه ملعون، إذًا كيف لملعونٍ أن يُترك هكذا ليغوي البشر بأشياء وهمية، لا يملكها، لمَ الشقاء دومًا؟!

يريد الله أن يعرف عباده الصالحين من عباده التابعين وراء الملعون! لكن قبل أن نُخلق، يعلم من سيتبعه، ومن سيحيد عنه، ومن يسبه، فلمَ يحدث هذا من البداية؟!

هناك أمور كثيرة، بعضها مُفسر وبعضها مُبهم، وفي جميع الأوضاع، هناك حكمة يعلمها الله وحده، لا أحد غيره...

***

"أظن أنه يجب علينا أن ننتظر في تلك الجبهة قليلًا، فلا بد أن وراء هذا العجوز شيئًا ما لا بد أن نعلمه، انتظر..... انظر هُناك، أليس هذا حارس (إنتير)؟!

ما الذي أتى به إلى هنا؟ فإن هذا المكان لا يعلمه سوى (بنكيران، وإنتير).. ما الذي يجري هُناك؟ اجعلنا نقترب منه قليلًا حتى نستطيع فهم ما يدور، هيا."

تم اصطحاب الحارس إلى ذلك المكان المشهود، عند باب القمر.. أخبره العراف بخدعة تغيب بها عقله حتى استدرجه إلى هُناك، وهُناك قد قابل أحدهم..

إنه عجوز بيده عكاز، يرتدي عباءةً طويلة فضفاضة على جسده النحيل، عينه اليمنى، أظنها بيضاء، وعينه اليسرى، منغلقة قليلًا، فبدأ الحارس سائلًا:

- من أنت؟!

- لقد علمتُ بمعاملة الأمير التي قد تغيرت معك.

- نعم، لقد تغير حال الأمير، يبدو أنه قرر أن يقصيني بعيدًا عنه.

- إنه يريد أن يجردك من منصبك.

- ماذا؟! ولمَ؟! فإنني في خدمته منذ أعوام، لم أفعل يومًا شيئًا يغضبه، كنت أتحمل الأذى عنه، فكيف يُجردني؟ كيف يحدث هذا؟!!

- سأدلك علي شيءٍ، إن فعلته، تبقى بجانبه أبد الدهر.

- بربك أخبرني، وأنا أفعل وأقدم لك ما ت..... مهلًا، من أنت؟!!

- أنا من جاء لك بالنعيم، سأتلو عليك كلمات، تجعلك تُلازم الأمير ، سأقربك من الأمير أكثر، سأُمجدك عنده.

- إنني لا أحب المراوغة، يجب عليك أن تخبرني من تكون!

- إنني أعظم علماء الأرض، أمتلك القدرة والقوة والمال.. لا تتعجل، فستعلم من أنا، ولكن ليس الآن، كل شيءٍ بموعد، فتريث، إنني فقط علمتُ بأمرك وأتيت لمُساعدتك دون أي مقابل، أتيت لأمد لك يد المساعدة، لكنك تأبى هذا، لذا فسأرحل.

- لا، انتظر، فإنني بحاجةٍ إليك، ماذا يجب عليّ أن أفعل؟

- حسنًا يا بُني، انصت إليّ، سأُعلمك كلماتٍ، تُرددها ولا تقلق بعد الآن.

تلا عليه ذاك العجوز بعضًا من الكلمات المُعقدة الغريبة التي تكاد أن تُصيب جسدك بهزةٍ غير عادية إبان سماعها، إنني حتى لا أستطيع كتابتها، لكنها كلمات غير مفهومة..

"أسمعت تلك الكلمات التي تلاها ذلك العجوز؟ أظن أنه سحر، أليس كذلك؟! لم تكن تلك الكلمات لعلاقة (إنتير) بحارسه بل كانت سحرًا، نعم أنا مثلك أظن تمامًا أن هذا العجوز مبعوث من قِبل (بنكيران) وقد جعل الحارس تحت تأثير سحر، ويحك.. ماذا سيفعلون أكثر مما فعلوا؟!"

****

"لقد أمضينا في سيمران وقتًا طويلًا يا أخي، نعم يا أخي، مر وقت ليس بقصير وأمضيته كله معي، أكلنا وتحدثنا وتبادلنا الأفكار، وغدوت تعرفني، وأصبحت رفيقًا لي، لذا قد غدوت أخي، هيا الآن نترجل، ونأخذ جولة في المدينة."

ها قد مر أعوام، وقد عم الفساد في الأرض أكثر من ذي قبل، أصبح (إنتير) حقًّا مالك الأرض، المُسيطر الأعظم، لكن في مقابل هذا، نُشر بين الناس الشر والظلم والعبودية والاستنكار للحق والعدالة، غدا الأمير الكاذب الفاسق الأشر، ما زالت أنانيته تلتهم كل شيءٍ دون رحمة، غدا كل شيءٍ، يحدث بأمر (بنكيران).. مات الكثير من الأطفال إثر الفقر والجوع، اغتصب الأرض وما عليها، مات الكثير إثر الظلم والتعذيب، تجبر (إنتير) وتعالى، وما زال يفسد في الأرض.. ولكن حدث شيءٌ أعظم، جُن (إنتير) وتطور الأمر إلى أن بدأ يدعو إلى ساحرٍ عظيم، أعظم سحرة الأرض، كبيرهم وسيدهم، يُدعى (بنكيران).. ساحر يُحدث ما لم يحدُث، في الأغلب تعرف هذا الساحر، تُرى من يكون؟!

إنه العجوز.. أتتذكره؟! ذاك العجوز الذي كان مع الحارس، جيد أنك تتذكر شيئًا مما قلته، أتتذكر أيضًا حينما أخبر (إنتير) أن هذا آخر لقاءٍ بينهما؟! قطعًا كان يقصد أنه آخر لقاءٍ لهما في الخفاء بينما الآن بعد تجسده في هيئة ذلك العجوز، أصبح الأمر مُيسرًا، وأصبحت لقاءاتهم جهرًا بعد الآن..

غدا أميرُ البلاد فردًا من المجاذيب ممن يتحدثون ويقولون بأنهم رُعاة الإله، انقلبَ ميزان الأرض واختلت الأمور، وما زال إله السماء يطلعُ عليهم، وعلى هذا التجرد والتبجح والفجور دون أن يخشوه، وما زالت هُناك نفس ضعيفة ترتد عن اعتناقها وإيمانها واتباعها لإله السماء، تتبع أهواء الشياطين وأهواء من تبرأ منهم الخالق..

قال (إنتير):

- اتركوا ما تعبدون، فلا حيلة لكم ولا قوة فيما تعتنقون، فإني قد رأيته، رأيتُ ساحرًا بأم عيني، رأيته ينبت الأرض زرعًا، يُخرج من الخمر طيبًا، رأيت منه الكثير، ولقد أخبرني بأنني المُختار كي أنشر عقيدته.

قالها في خطبةٍ بأمرٍ من (بنكيران).. ظل يُحاول أن يحشد الكثير من المرتدين أصحاب النفوس الضعيفة، واستغل كل شيء، أخبرهم بأنه لا يترك عباده يتضورون فقرًا وجوعًا، وبعضهم قام باتباعه حتى يُرحم من الجوع، إنقاذًا للأرواح التي تُزهق، أخبرهم أن بإمكانه أن يجعل البلاد تُشفى من أي وباءٍ، قد حل بها، كانت الإناث حينها لا تُفضل إنجاب الإناث، والمرأة التي تنجب أنثى، لا تظل في عصمة زوجها، فقام باستغلال هذا الأمر أيضًا وأخبرهم أن بإمكانه أن يجعل جميع الإناث يحملن في رحمهن ذكورًا، وأنه بإمكانه أيضًا أن يجعل نسل الإناث دائم دون موتٍ أو قُبحٍ أو فناء، استعمل جميع الحيل مُحاولًا استغلال نقاط ضعفهم، جميع البشر منذ بدء الخليقة بهم نقاط ضعف، الأغلب منهم يتبع أهواء الشيطان، ولا يمتلك القدرة للتغلب على ذلك الوسواس، والأقلية تعلم علم اليقين أن الشيطان آخر طريقه جهنم، يُفضلون عذاب الدنيا حتى ينعمون في الحياة الأخرى التي لا فناء فيها ولا زوال، النفس البشرية ضعيفة إلا من رحم الله..

- حَلق معي في آفاقي، ودَعكَ من هذا الهراء العبثي..

****

"أراك يا رفيق قد أصبحت شغوفًا بالأمر أكثر من شغفي له، الآن يجلس (إنتير) مع ذلك العجوز في هذا المنزل الذي أعده (إنتير) لهذا الساحر المُبجل حتى يقيم به، تُرى ماذا سيحدث مُجددًا؟! هيا اجعلنا نتلصص حتى نعلم."

تحدث (بنكيران) قائلًا:

- لقد كُنا على حقٍّ يا (إنتير) ووضعنا بقبضتك كنوز الأرض ومُلكها، وحان الآن أن تُتمم طاعتك بامتداد نسلك وبشريتك إلى أبد الدهر.

- امتداد بشريتي! ماذا تقصد؟

- قد اخترنا لك إحدى فتياتنا حتى تكون عونًا لك في ذلك الأمر، وتُنجب منها أيضًا، فذاك الطفل سيحفظ ملكك.

- فتياتكم!!!

- ماذا هُناك؟ لمَ كل هذا الاستنكار والاندهاش الذي قد حل عليك؟! إننا نُنجب الفتيات والذكور وبيننا عُلماء وأطباء، نحن قوم مثلكم، لا فارق بيننا وبينكم غير أنكم محجوبون عنا ونحنُ محجوبون عنكم لكننا نراكم ونعيشُ معكم بحياتكم نفسها، أنتم ضُعفاء ونحن نمتلك القوة والقدرة.

- لكن، ستكون مثلك تلك الفتاة، أي ستكون كجمرة نار، كيف أعاشر نارًا؟! كيف ستنجب؟ وكيف سأتزوجها؟ أيعقل هذا؟!!

- نعم يُعقل، دون جدال، أنا لا أخيرك بل آمرك، وأنت تعلم ما يجب عليك فعله!

- أعلم.. أعلم.

خر (إنتير) راكعًا ذليلًا، مكسور العين ثم قال:

- أمر مُطاع دون جدال، إليك تعظيمي ومنك أستمد قُدرتي وقوتي.

- عبد مطيع، لذا سنُكافئك.

- كيف؟!

- لا تتعجل، سترى كل شيء.

- حسنًا، لكن يجب عليّ أن أعلن هذا الأمر، وقطعًا لا بد من إخبار الناس بهوية العروس، فماذا أفعل؟!

- أخبرهم أنها ابنة أحد الأمراء القدامى، وقد توفي والدها وانتهى عهد مُلكهم ثم جاءت لتحتمي بك، فأُعجبت بها وفضلت الزواج منها على الفور، أنت هُنا الحاكم، وأنت من يأمرهم، فيجب عليهم التصديق، هم من يجب عليهم تقديم الأخبار المفصلة عنهم، وليس أنت.

- هذه عادات لا أكثر يا سيدي.

- حسنًا، ارحل الآن وأخبر شعبك بهذا الأمر، دعهم يمرحون قليلًا.

"إنني سأجن حقًّا، فكيف لبشريٍّ أن يتزوج بشيطانة؟! أيُعقل هذا؟!
أظن أن الأمر يزداد سوءًا، لكن لا بد أن أنهي هذا الأمر، لكني لا أعلم متى نهايته!"

الأجسادُ بالية، والنفوس مريضة، والأرواح مُهلهلة، ويجب عليك أن تجتاز رحلة وسط البشر، الخوف قد وجد مُستقره بقلوبهم، وأعينهم يؤخذ منها حبر تُكتب به سطور العذاب، ليست حقبة زمنية سوداوية صعبة الاجتياز، إن المُعضلة تكمن بالنفوس الضعيفة، تغير كل شيء، تغير البشر والقلوب، تغيرت الدنيا بأكملها.. نهاية الطريق على مشارفها.. والوضع يزداد سوءًا.. لا أُبرئ نفسي من الخطأ ولا أُبرئكم.. جميعنا مُذنبون وما نحن إلا أفاقين..

"لقد كرهتُ سيمران بعد علمنا بأمر الزواج هذا، أقسم على أنني كرهتُ هذا العالم أيضًا، فمن يتبع أهواء الشيطان يشقى أولًا وآخرًا، اجعلنا نرحل من هنا ونذهب إلى (عارف، ومَلوذ) حتى نعلم الأمر هُناك وما يحدث، فإننا نمضي في سيمران وقتًا طويلًا ونسهو عن (مَلوذ).. عم تسأل يا (رفيق)؟ ألم تفهم بعد أننا نتحرك ونعبر عبر اليوم؟! أننا يا فتى نُعاصر شيئًا قد حدث في الماضي؟! ونُعاصر شيئًا يحدث الآن! نُعاصر (إنتير) قديمًا، و(مَلوذ) حديثًا، لكن نعاصر تلك الأزمنة معًا في آنٍ واحد، أفهمت؟! كان لا بد أن تتفهم هذا الأمر منذ البداية، هيا بِنا الآن."

ما تُخفيه قلوبنا تأتي أعيننا لتبديه.

كُلما حاول الفرار مرارًا وتكرارًا، عاد أشد شوقًا لها من ذي قبل، تبدل الأمر وتغير الحال وأصبح هُناك ما يتبادلاه.

كانت تحتويهما سماء ذاك الليل حينذاك، ذراعه اليمنى، تلتف حولها بينما تسند رأسها إلى صدره في حنوٍّ.. ثم قال:

- إذ لم يكن للزمان موت، لو أن الحياة تستمر بغير كهولة وهوان المشيب.

- ولِمَ تُريد ذلك؟!!

- كي أكتفي من عِشقك.. لكن لو أمضيتُ بقربك دهورًا، فلن تكفي.

قاطعته بحماسة قائلة:

- ولكن يقول أبي أننا باقون.

تعالت ضحكاته ظنًّا منه أنها تقول إطراء ثم قال:

- أي بقاءٍ هذا؟ فإن كل ما عليها فان، ولن يبقى شيء، لكن ستبقين بفؤادي ما حييت.

- لا موت عِندنا، إننا فقط نحيا دون موت، دون كهولة، دون فناء.

ابتسم وأمسك بجبينها مُداعبًا لها قائلًا:

- إن الهوى، يجعل قلوبنا تتجاهل كل تلك الأشياء، ولكن.....

قاطعته بحماسة:

- ليس الهوى، معي ستستمر دون موتٍ، دون هوان، دون فناء، الأرض لنا، والفضاءُ لنا، والسماءُ لنا، وكل ما عليها ليس بفانٍ، لكنه لنا فى الأخير.

تعالت ضحكاته مُقهقهًا ثم قال:

- أظن أن الهوى سيصطحبنا إلى الجنون قليلًا.

ثم أخذا يتسامران عن تلك النجوم المُتناثرة في تلك البُقعة السوداء التي تُمثل جمالًا يُشبه جمال عينيها...

قد نلتقي.. ولكن لا نسيرُ معًا.

"إن الأمر بينهما يتطور بشكلٍ كبير في وقتٍ قصير، لا بد أن تأثير (مَلوذ) يعمل بشكلٍ كثيف، لكن بعضنا يعتقد أن الهوى لا يأتي من دون موعد أو ترتيب، وأنه شيء مُدبر له من قِبل الشخص، ولكني أعلم علم اليقين أنه يأتينا دون تدبرٍ مِنا أو ترتيب، فلا ذنب لنا إن عشقنا ولا حيلة لنا ولا قوة في هذا، وقلوبنا عبيد مُطيعون، دعنا من هذا الأمر، وهيا لنعود إلى سيمران."

****

في عالم (بنكيران) مسموح بفعل أي شيءٍ تريده دون رقيب أو حسيب، دون قيدٍ أو مسيطر، عالم لا يلتفت لعادةٍ أو تقليد، لا يلتفت لأي شيء، مسموح بتخطي حدود كل حد، تخطي الطبيعة وبشريتك وقيدها، مسموح بتخطي ما لم يمكن أن تتخطاه في أرض الواقع، وما لم يتخطاه عقلك، لكلٍ منا نفس، تُريد فعل ما لم يفعل، وما لم يُسمح به، في هذا العالم تتحرر، ولكن لكل شيءٍ عواقبه..

"هيا بِنا نذهب إلى الساحة، فعُرس (إنتير) اليوم."

احتشد الجموع في الساحة، عُلقت الزينة، وقُرِعت الطبول، وامتلأت المدينة أنوارًا، واستعدت الراقصات لإحياء عُرس الأمير (إنتير).. الأجواء ممتلئة بالصخب الجم، إنه يوم مميز، أظنُ ذلك، به احتفالية لم تحدث في التاريخ، لم يكن الأمر مُجرد عُرس لأمير البلاد، الأمر كان مُختلفًا تمامًا عند (بنكيران).. اليوم يوطد نفوذه ويُرسخها ويُحقق فوزًا لم يُحققه من قبل، احتفلت المدينة بأكملها، الأطعمة لا حصر لها، الخمور يتناولها الجميع، الهرج والمرج يسود الأجواء، لكن (إنتير) كان صامتًا تمامًا، وبداخله ضجيج عظيم، كيف يحدث هذا؟! وكيف ستتم هذه الزيجة؟!

يريد (بنكيران) طفلًا! وكيف لهذا أن يحدث؟! كيف سأتزوج من نارية؟! إنني حتى لا أعلم كيف يتزوجون، أو كيف يقضون حياتهم إن كانت لديهم حياة! لا أعلم شيئًا، أظن أن ما يحدث خارج عن إرادة الطبيعة، ولكني مُضطر لقبول هذا الجنون الذي سَيُصيب عقلي بالشتات، إذا عصيتُ أوامره، لن أنعم، لا أعلم ماذا يجب عليّ أن أفعل! وَيلي من الذي قد وُضعتُ به!

فُض الزحام وانتهى العُرس، وذهب الجميع إلى مضاجعهم، وبعد أن انتهى الأمير من جُمل التهنئات، اتجه إلى غُرفته حيث توجد العروس هناك في انتظاره، دَلفَ فوجد فتاةً، ترتدي وشاحًا أبيض اللون، يُغطي كامل جسدها، ظل واقفًا بعيدًا متوجسًا، حتى استدارت هي وقامت برفع الغطاء الذي كان يخفي وجهها المُنير، حتى كشفت عن هيئتها..

قال (إنتير):

- ظننت أنكِ تُشبهين أباكِ!

- لقد هُيئتُ لك، اقترب.. لا تجزع.

اقترب منها بتوجس، كانت جميلة حقًّا، لن تأتي واحدة من نساء الأرض في مِثل جمالها، عيناها الدافئتان اللامعتان تعكسان صورته بهما، لقد خُلقت من إبداع فنانٍ إلهي.

- هُنا أنت السيد، وأنا هُنا لإطاعة سيدي.

انحنت قليلًا..

- لمَ قَبلتِ الزواج بي؟!

- لم أقبل ولم أُخير، فقد أُمِرت وأطعت.

- ولِمَ أنتِ دون الأخريات؟!

- لا أعلم، ولكن والدي يعلم، أظن أنه اعتقد أنني أصلح لهذا الأمر.

- ولكن كي.....!

وضعت أناملها على شفتيه ثم نظرت إليه تلك النظرة الحانية التي تحمل شوقًا ثم قالت:

- لا أملك أي إجابة عن أسئلتك، فأنا مِثلك أطيع فقط، الآن ليس وقت طرح الأسئلة، لن تجدي نفعًا، الآن وقت خلوتنا، فانظر حولك، لا أحد هُنا غيرنا، اقترب أكثر واترك الفضول، بوسعك أن تعبر إلى نعيمٍ تجهله من خلالي.

فاقترب ثم تناولت يده وقامت بوضعها على شعرها الطويل الناعم الذي يُشبه خيوطًا من ذهب ثم قالت:

- لامسني، مرر أصابعك بين خُصلات شعري، اجعل يدك تتشبع من مُلامسة جسدي، لا تُفكر في كوني ابنة لإبليس، لكن فكر بأنني حور تنزلت لك كي تنعم بها.

أرغمته أنوثتها وحُسنها على تخطي الخوف، وقام بمداعبتها مُداعبة الأزواج في ليلةٍ كتلك، لم يتذكر حتى أن من بيديه مخلوقة نارية، يُمكن لوهلة أن تتحول من ذلك الحُسن إلى قُبح أبيها، كان جسدها العاري الممشوق، تنبعث منه رائحة كرائحة الجليد على عكس طبيعتها، امتزجت حرارة جسده المُرتفعة ببرودة جسدها حتى نتج دفءٌ، أضاف إلى تلك اللحظات اللذة المُستحبة، وها قد حدث ما أراده (بنكيران).

ثم سألها عندما أصبح في كامل نشوته:

- ما اسمك؟!

- موالين.

"أظن أن ما يحدث، ينبغي ألا نراه، هيا لنرحل من هنا."

- المعضل، أن كل القصص تُشبهنا.. وكل السطور تسرد ما بجعبتنا.. وكل نظرات الخوف كأنها نابعة من أعيننا.. نتشابه في كل شيءٍ حتى وإن لم تكن بيننا علاقة بينية.. فأنا أنت إذا أردت ذاك، وإذ لم ترد..

إذا خَلوت بذاتك وجلدتها وعنفتها، وتعاملت معها بقسوةٍ وصرامة، فلن ينفعك هذا إذا استحوذ عليها الهوى، ذاك الشيء هو الأوحد على مر العصور والأزمنه، يذل العزيز ويُضعف القوي ويُزلزل العابد، ولا أحد يصلب أمامه، جميعُ القلوب إذا حل عليها، خرت مُطيعة مُلبية دون تفكير، دون قسوة، دون شيء.

قالت (مَلوذ):

- لم أعد أنتمي لأي شيءٍ أو أي جهة، لقد فقدتُ بوصلتي، ولا أعلم أي طريقٍ يجب أن أهتدي إليه!

(هكذا حدثت مَلوذ مُهمهمة ذاتها، ظنًّا منها أنه لن يسمع بحديثها أحد).

تحدث (بنكيران) قائلًا:

- أغافل أنا عما يَدورُ هُنا يا (مَلوذ)؟!

إذ به ظهر فجأةً من حيثُ لا تعلم، لقد أفزعها، حاولت أن تستجمع شتاتها.. ثم قالت:

- أهلًا يا أبي، ما الذي جعلك تأتي إلى هُنا الآن؟!

"أسمعت هذا يا رفيق؟! لقد قالت أبي!!!!!!!

وما الذي جاء بـ (بنكيران) إلى هنا؟!!!!"

مال نحوها قليلًا، وقال في هدوءٍ مخيف:

- لا، أنا هنا من يسأل، ماذا هُناك؟.. لا أنتِ، هل أخبرتني؟ ماذا يحدث هُنا؟!

- ما من جديد، حاولت الإيقاع به كما أمرتني ووجهتني، وغدا معشوقي لكنني أتريث قليلًا، فـ (عارف) لديه مُعتقدات لن يتخلى عنها بهذا اليسر، يتطلب قليلًا من الوقت والجهد حتى يصبح مطيعًا لك.

- أهذا ما في الأمر؟!

- ليسَ هناك شيء، لم أخبرك به.

- حسنًا يا (مَلوذ).. استمري بعملك، ولكن دون إخفاق، ودون المزيد من الوقت، فلدينا أمور عدة سنقوم بها، وأريد أن أُذكركِ بشيء.. أتذكرين والديكِ، وما حدث لهما؟!

خافت (مَلوذ) وحدقت بـ (بنكيران) صامتة، يرتعشُ جميعُ ما بها ثم أكمل بنبرة وعيد وتحذير:

- بعثتكِ إلى هُنا للإيقاع بهذا العابد الزاهد، لا لتقعي أنتِ في هواه.

- هوى! ما الذي تتحدث عنه يا مولاي؟! أنا هُنا لأطيع الأوامر فقط لا غير.

- حسنًا، أحسنتِ يا فتاتي، فإنكِ ابنة صالحة، سأرحل الآن، لكن أريد سماع ما يسر في أقرب وقت.

"انظر، انظر.. إنه (عارف) يتجه إلى منزل (مَلوذ)."

طرقات الباب، لا بد أن أحدًا بالخارج..

قال (عارف):

- عليكِ السلام، أنتِ من يفتحُ الباب! أين الفتاة؟!

- ذهبت كي ترى والدتها، أظن أنها آتية.

وجد (عارف) على ملامحها شيئًا من الخوف، فوجهها شاحب.

- ما بكِ؟ أأنتِ بخير؟!

- نعم بخير، ولكن أظن أنني مُنهكة بعض الشيء.

- أتحتاجين طبيبًا؟!

- لا داعي لهذا، إنني بخير.

- حسنًا، كما تشائين، سأذهب الآن ويجب عليكِ أن تستريحي قليلًا.

- لا انتظر، لا تذهب.

- لِمَ؟!

اقتربت منه خطواتٍ معدودة ثم قام بمُلامسة لحيته القصيرة..

- أتشعر بي؟!

- أشعر.

- أتشعر بتلك الحرارة المنبعثة من جسدي؟!

- نعم أشعر!

- أتعرف ماذا تعني؟

- لا، لا أعرف.

- تعني الاشتياق، جسدي وروحي بحاجةٍ إليك، أيمكنك عناقي لئلا تُبعثرني نيران الشوق؟!

قام (عارف) باستنشاق عطرها ثم قال في سلام:

- ما كل هذا اللطف الذي بكِ؟!

- اقترب يا (عارف).. لا بد أن تقضي الليلة بقربي.

التفت يداه حول جسدها النحيل، وحاول أن يجعلها تذوب بصدره، تملكها بيديه مُحطمًا أضلاعها متمردًا على الكتمان ثم فجأة وكأنه قد استفاق من غرقه، جاءه تنبيهٌ ما أصاب رأسه، وأقصى ما بداخله من نشوة، فتراجع قائلًا:

- لا يصحُ أن يحدث هذا!

- ماذا؟ ماذا هناك؟!

- لا أريد أن يحدث هذا!

- لِمَ!

- لا أعرف!

"ماذا يحدث؟! لا بد أن هناك شيئًا قد طرأ عليه."

ثم استدار ورحل دون استئذان، وأخذ يركض هربًا حتى وصل مُنهكًا إلى صومعته، التقط أنفاسه، إنه لا يُدرك ما حدث! ولِمَ بعدما اقترب منها إلى هذا الحد، هرول بعيدًا! إنه يتمناها أيضًا كما تتمناه، وبحاجةٍ إليها كما هي

بحاجةٍ إليه، لِمَ تصلب هكذا؟! لم يكن الأمر عاديًّا، ولكن هُناك ما يغفل عنه بعد..

بخطواتٍ لم تُسمع، صعدت إلى صومعته في غفلةٍ من شروده، واقتربت منه حتى همست في أذنه قائلة:

- إذًا ولِمَ الهروب وأنت تتمناني؟!

انتفض (عارف) كأنه قد لُدِغَ من عقرب ثم قال بنبرةٍ حادة مُستنكرة:

- ما الذي أتى بكِ إلى هُنا الآن؟!

- جئتُ لألبي نداءك!

- لم أناديكِ.

- قد فعلت، ركضت مهرولًا، ولكن قلبك هو من قام بندائي، قال: هيا يا (مَلوذ).. يجب عليكِ أن تأتي خلفي.. فجئت.

- (مَلوذ).. أرجوكِ عودي إلى المنزل الآن، يجب أن ترحلي.

- لمَ تفعل هذا معي؟! كلما حاولتُ الاقتراب، تقصيني بعيدًا! إنني لن أذهب قبل أن تُعلمني بالأمر!

- إنني لا أعرف الأمر! ليتني أعلم، بوسعي أن أقترب لكن هُناك شيئًا يحدث لا أعلمه!

- تعال واجلس، أود إخبارك بشيء، أتعلم أنني عَلمتُ الغيبَ وعلمتُ أن روحي ستقابلك يومًا؟!

- إن حديثك غير مفهوم بالنسبة لي، أظن عقلك قد أصابه شيء من فرط الهوى.

- حسنًا لن أتحدث، أخبرني أنت، أتراني جميلة؟!

- لقد رأيتُ السماء في عينيكِ، سمعتُ كثيرًا عن قصص العشق والهوى من السابقين، وعلمتُ أنه نقمة، لكن بقربك شعرتُ أنه النعيم، وددتُ لو يعلم السابقون بسعادتي بهذا الهوى، لا بد أنه سيكون أمرًا مغيرًا بالنسبة لهم.

- أتعلم كم عُمري؟!

أومأ نافيًا، فأكملت قائلة:

- عُمري يُحسب بنبض قلبك، لقد نُقِشتَ بالنار على قلبي، ولا أتحملُ أن تُفارقني.

- من قال أنني سأفارقكِ، لن أتركِ مهما حدث.

- ستذهب معي أينما ذَهبتُ؟!

- أخبرتكِ أنني لن أفارقكِ يومًا.

- ستتخطى معي النار؟!

تَبسم (عارف) ظنًّا أنها مزحة، وأكمل بإطراءٍ قائلًا:

- أتحملُ لهيبها إن أردتِ، وتكون كريح الجنة.

تبسم كِلاهما، ظنت أن هواه سيُجرده من كل مُعتقداته التي يتمسكُ بها، وظن أنها تداعبه بذلك الإطراء، ولم يعلم أحدهما ما بنفس الآخر..

"ترى ماذا سيفعلون بـ (عارف)؟!

أعلم أن ظنك كان بمحله حينما أخبرتني أن (مَلوذ) تتسم بشيءٍ غريب، لكني لم يخيل لي أنها ستكون من معشر النار، إذًا هذا يوضح أن قديمًا حينما تزوج (إنتير) من (موالين) أنجب (مَلوذ).. (مَلوذ) روح شيطانية بهيئة بشرية، هذا هو ما يبحث عنه (بنكيران).. حسنًا لا بد أن نذهب إلى سيمران الآن، هيا."

قد يأتيكَ النعيم في هيئة حِممٍ من جهنم، حتى تنقلب عليك ولا تستطيع الرجوع، فكلٌّ منا يجني ما قد زرع...

"العودة إلى سيمران"

تمضي أعوام والحال كما هو، أصبح لـ (بنكيران) أعوان من بني البشر، غدا كل شيءٍ في قبضته، أموالهم، أولادهم، أنفاسهم، أرحامهم، أرواحهم، كل شيءٍ غدا يملكه، يسهل على (بنكيران) فعل أي شيء، فهو النجمُ الأكبر والساحر الأعظم كما كان يقول، لكن من العسير، عدم اتباعه ومقاومته، فمن أبى، يفنى كأنه لم يوجد فى تلك الحياة.

تمثله في هيئة عجوز، قد سهل له الأمر كثيرًا، ظل يُخاطبهم ويسير بينهم ويتعايش معهم..

قال (بنكيران):

- سأُسخر لكم ما تُريدون وما تشتهون، سأنعم عليكم بما تشاءون، لن تشتهي نفوسكم شيئًا إلا ووجدتموه أمامكم، من أراد مالًا، غمرته به، ومن أراد نساءً، جعلتهن تحت قدميه، ومن أراد حياةً بغير موتٍ، له هذا، من كان منكم فقيرًا أغنيته، ومن كان يخافُ على ما يمتلكه سأحفظه له من أي سوءٍ أو زوال، ومن أرادت ذكرًا، نفختُ في رحمها ما تُريد، ومن أراد مُلكًا ملكته، سأفعل كل شيءٍ، يُحقق لكم المُتعة والرخاء، أما من جهتكم فما عليكم سوى الطاعة وتنفيذ ما تؤمرون به، وأظن الطاعة تلك ليست بمقابل لأنني سأعطيكم أكثر مما ستعطوني.

"أترى كيف يغويهم (بنكيران)؟ يُحقق لهم جميع ما يُريدون، يستغل نقاط ضعفهم وجوعهم وضنكهم كي يحقق مُراده، تُرى هل سيظهر لهم بهيئته الحقيقية ذات يوم؟! نحن ما زلنا بهذا العالم، وسنرى ما إذا كان سيظهر لهم أم سيستمر بخداعهم خلف تلك الهيئة الزائفة؟ هيا نذهب إلى القلعة حتى نعرف ما يدور هُناك!"

منذ أن تزوج (إنتير) بـ (موالين) وهو يريد أن يبقى بجانبها، لا يُفارقها ولا تبعد عن عينيه، أهو تحت تأثير سحرٍ جديد أم أنه قد هوى حقًّا دون سحر؟!

اقتربت (موالين) من أن تضع حملها، رغم كونها نارية إلا أن حملها قد استمر تسعة شهور كاملين كنساء بني البشر، يعلم (بنكيران) أن ما بداخل رحمها فتاة، وهو يُريد تلك الفتاة كي يحقق بها انتصارات عظيمة لم تُحقق منذ وجودهم.

كان لـ (موالين) فتاة من بني جنسها مُهيأة لتكون في خدمتها طوال مُدة حملها فقط، يتسامران كثيرًا ويمرحان قليلًا، ووسط حديثهما، أخبرت (موالين) تلك الفتاة التي تُدعى (معشرية) بأمرٍ مهم، قائلة:

- نعم قد هويته، فهو مُختلف كثيرًا، ليس لأنه بشري، بل لأنه يتمتع بإنسانية، لم أجد مثلها، حتى معاملته معي مُحبة ومليئة بالود واللين رغم معرفته بكوني ناريه إلا أنه لم يجزع، وهذا ليس لأنه تحت تأثير تعويذة من تعاويذ أبي، حتى مُعاشرته تختلف، فإن ذكورنا تُعاشر إناثهم من دُبر، أما هو فلم يفعل ما يفعلون، وجدت معه سلامًا وحبًّا ولذة، لم أجدها في بني جنسنا رغم الشرور التي تملأ نفسه.

- ويحك يا (موالين).. إذا علم أحد بما تقولينه، فستقعين في ورطةٍ وجرم عظيم، يجب عليكِ أن تحرصي على ألا يصل هذا الحديث إلى أبينا، أعلم أنه عليم بكل شيء، ولكن أتمنى ألا يعلم.

- لمَ الخوف؟! فأنا لم أرتكب إثمًا، إنني فقط هويت زوجي.

- قد هويتِ بشريًّا، يا (موالين).. أي عدو.

- لقد انتهت تلك العداوة منذ زمن، فنحن في عهدٍ جديد، عهد الصداقة.

- منذ متى وأبونا يصادق عدوه؟! هناك أمر يخفى علينا ولا نعلمه، فلا أحد يعلم بأي شيءٍ يفكر (بنكيران)! ولكننا سننتظر حتى يظهر ما قد أخفى.

وما نحن إلا بقايا أرواح مُتهالكة، أنهكها ضعفها وطمعها واتباعها لمن لا يُتبع..

"لقد وضعت (موالين) أنثى!

ظننت أن (بنكيران) سيحزن لهذا الأمر، ولكنه كان يعلم أنها أنثى ودبر شيئًا لهذا الحدث، تُرى ماذا سيحدث بعد الآن؟!"

لكَ كامل حُريتك إن أدرت أن تحتفظ بهذا الغير مُباح، ولكنك تتلذذ في عالم (بنكيران).. إن أردت أن تعترض وترفض وتعود إلى قيد عالمك، ستندم حين لا ينفع الندم..

أمر (بنكيران) بأن يرسلوا إلى (موالين) ليأتوا بها إلى منزل ذلك العجوز..

"أرسل (بنكيران) إلى (موالين) دون عِلم (إنتير).. لا بد أن هُناك جديدًا قد طرأ."

قالت (موالين):

- السلام عليك والتحية يا سيدي.

- أهلًا بالابنة البارة، اقتربي يا (موالين).

اقتربت خطوات معدودة ثم قال:

- تعلمين أنه لا يخفى عنا شيء، أليس كذلك؟!

- نعم أعلم.

تبسم ابتسامة مُصطنعة مُخيفة وأكمل قائلًا:

- حسنًا، علمنا أن فؤادكِ يكن شيئًا لـ (لإنتير).. أهذا صحيح؟!

ارتجفت ثم قالت:

- أأخبرتك (معشرية)؟!

- يا (موالين) إنني لست بحاجةٍ لأن يُخبرني أحد، أنا (بنكيران).

- دون أن أشعر يا أبي، أقسمُ لك، لم يحدث هذا مني عن عمد.

- أعلم هذا يا (موالين).. لا تخافي، أتيتُ بكِ كي أُخبركِ أن دورك قد انتهى.

- ماذا؟ ولكن كيف؟!

- أتيتُ بكِ إلى هذا العالم حتى تقومين بعملٍ ما، وقد أثمر هذا الأمر ما وددته، وقمتِ بعملك على أكمل وجه، والآن لستُ بحاجةٍ إليكِ بعد الآن، عودي أدراجك.

- ولكني لا أريد الرحيل ولا العودة، يا أبي إنني أهوى (إنتير) وقد أنجبتُ منه، لِمَ لا تتركني أمضي حياةً سعيدة برفقته؟

قهقه (بنكيران) ثم قال:

- حياة سعيدة، أليس كذلك؟! حياة مع بشري.. (موالين).. يجب عليكِ ألا تُثيري غضبي نحوك، فقط افعلي ما تؤمرين به.

- لكن ذلك مُعاكس لرغبتي.

صاح بها غاضبًا:

- مواليييييين، هذا آخر إنذار لكِ، إما العودة أو الهلاك.

- وتلك المرة الأولى في مُخالفة أوامرك يا سيدي.

ثم انحنت قليلًا وبعدها أدارت ظهرها راحلة، وقبل أن تقترب من الباب، تخلص (بنكيران) من هيئة العجوز الذي كان متجسدًا بها، وعاد إلى هيئته النارية، أغلق كل الأبواب والنوافذ، واشتعلت (النيران) حولها، أخذ (بنكيران) يتضخم شيئًا فشيئًا ثم قال بصوتٍ غليظ جدًّا:

- لم يُخلق أحد لعصياني، إن عدم طاعتي أمر ستعاقبين عليه مدى حياتك.

فجأة قيد قدميها ويديها بأغلالٍ حديدية مشتعلة ثم أمسك عُنقها ورفعها وعاد قائلًا:

- أريني ماذا سيفعل ذلك البشري لأجلك! سأخسف بكِ الأرض أنتِ وطفلتك، فليس (بنكيران) من يُعصى.

ثم أسقطها أرضًا، وبالفعل قد خسف بها الأرض، انتهت (موالين) وطفلتها، فمنذ ذلك الحين، وحتى الآن، لم نعلم ماذا فعل بها! هل أحرقها أم أسكنها أسفل الأرض ووضع بها أغلالًا سُفلية أم أن عذابهم للعاصي له

طابع خاص بهيئتهم النارية أم أنه قد أرسلها إلى حمم جهنم تتلوى بها عذابًا وحرقًا؟!

حين جاء الخبر إلى (موالين) بأن العجوز بانتظارها في منزله، تناولت ورقة وجلبت زجاجة الحِبر وأمسكت بالريشة ونقشت على تلك الورقة بعض الكلمات التي ستتركها لـ(إنتير) قبل رحيلها، وكأنها كانت على يقينٍ بأنها لن تعود مُجددًا..

"تركت بكَ لهيب الهوى، وتركت بي عطرك، فلا تحسب أني راحلة، إني باقية ولكن بك وبقلبك وسأكون معك ما دام عشقي يُلازم نبض فؤادك."

حينما عاد (إنتير) إلى قصره واتجه إلى حجرته، فلم يجدها ولم يجد طفلته أيضًا، ووجد تلك الورقة مطوية على فراشهم، ففتحها وأخذ يقرأ ما بها، بعد أن انتهى من قراءتها، هرع نحو الحراس يسألهم عنها، ولكنهم أخبروه بأنها لم تخرج من غُرفتها منذ الصباح.. فهرول مُسرعًا إلى بيت العجوز حيث يمكث (بنكيران) وعندما وصل، دفع الأبواب دفعًا، ودلف دون استئذان، فوجد العجوز جالسًا على كُرسيه الذي كان مثل العرش وبجانبه حارسان شاهقا الطول، لن تستطيع أن تتبين ملامحهم من حدة الظلام الذي كان يملأ وجوههم، شعور غريب قد بُث بداخله، نظر إلى الأبواب التي تم إغلاقها فجأة دون أن يغلقها أحد ثم أخذت تتعالى أصوات أخرى حوله، أصوات مُرعبة ثم شعر أن هناك شيئًا يسحب عنقه ويدنيه من عرش (بنكيران) ثم وقف أمامه مباشرةً، كلاهما صامت، وبعد دقيقة واحدة، تلفظ (إنتير) قائلًا:

- هل تنوي قتلي؟!

- إنني لا أقتل.. لمَ تُفكر بتلك الأمور السيئة؟ أنت عبدنا المُطيع يا (إنتير).

- إذًا أين (موالين) وأين ابنتي؟!

- أظن أن تلك الأمور ليست من شأنك.

- كيف؟! إنهما زوجتي وطفلتي!

- أتمنى ألا تُغضبني، اذهب إلى قصرك، فهذا ليس من شأنك.

شعر (إنتير) بضيقٍ شديد في نفسه، وبدأ بتحسس عُنقه كأن هناك شيئًا يلتفُ عليه ليخنقه حتى أخذ يسعل، شهق حتى يقدر على التنفس لكنه لم يقدر، لم يستطع رؤية الأشياء حوله بوضوح، اقترب منه (بنكيران) بابتسامةٍ باردة ساخرة، تملؤها النيران ثم قال:

- لن تموت يا (إنتير).. لا تقلق، ولكن أنت لا تعرف شيئًا عن عذابي السفلي، فيجب عليك أن تلتزم وتتحلى بالطاعة وإلا جعلتك تتمنى الموت.

اتسعت عينا (إنتير) وبدأت الرؤية تنعدم، كأن سحابة قد حجبت عنه الرؤية، إنه ليس الموت بل مُجرد ترهيب من (بنكيران)..

سقط (إنتير) على الأرض وأخذ يتلوى قليلًا ويلتقط أنفاسه بنهم ثم رمق (بنكيران) فوجده قد تحول إلى هيئة ثُعبان بشع، وكل الأشياء حوله قد انقلبت وغدًا، أصبح الأثاث معكوسًا، وأرضية المكان أصبحت سقفه، وقد فاحت رائحة شديدة العفن ثم أخذ العفن ينزلق على الجدران، ففطن (إنتير) إلى أن معصية (بنكيران) ستُصيبه بلعنة، لن يُحل منها أبد الدهر، فخر ساجدًا ذليلًا:

- أمهلني فرصةً أخرى يا سيدي كي أعود إلى رُشدي، أعتذر، إنني أعتذر عما بدر مني، فعُذرًا يا مولاي.. عُذرًا.

عادت كل الأمور إلى طبيعتها مرةً أخرى، وعاد (بنكيران) إلى هيئة العجوز ثم قال:

- حسنًا يا (إنتير).. سأمنحك فرصةً أخرى حتى تستطيع إثبات ولاء طاعتك، لكن إن أضعتها، فلن أعطيك فرصة أخرى، فقط يجب عليك الحذر.

- حسنًا، فلن أضل دربي مرة أخرى، أنا دومًا عبدكم المُطيع، فقط أطلب العفو، العفو فقط.

- اذهب إلى قصرك واجلس على عرشك، فلدينا الكثير من الأمور، لا بد أن ننجزها.

- حسنًا يا مولاي، لك ما أمرت.

هرول (إنتير) بهلع، حتى خرج من البيت واتجه مباشرةً إلى قصره، وعندما وصل صعد إلى عرشه وجلس كما أمره (بنكيران)...

توغل (بنكيران) أو ذلك العراف العجوز بمدينة سيمران أكثر فأكثر، أصبح أهل المدينة أشد اتباعًا له ولأوامره، وقد عاونه في كل هذا، الأمير (إنتير).. أصبحوا لا يفعلون شيئًا من دون علمهما حتى مُضاجعة نسائهم، وغدا جميع النساء في أرحامهن نفخات شيطانية، فعل بالمدينة أشنع أنواع الجرائم ودمر أهلها وعقولهم ونفوسهم وقلوبهم ومنازلهم وحياتهم بالكامل، فإنه كالمرض الذي انتشر في الجسد كله، وأصبح الخلاص منه هو الإبادة والفناء، فقد حقق العديد من المكاسب، وغيب العقول والقلوب، وهذه الأمور بالنسبة له أعظم الانتصارات، فلم يعد بالمدينة رجل واحد صالح، غدا يُسيطر على كل شيءٍ حتى ما تحمل النساء في أرحامهن، ثم أتى يوم لم يكن يتوقعه (إنتير).. أنه يوم سوء حظه..

قال (بنكيران):

- لا بد أن تتنحى عن منصبك، فإننا بحاجةٍ إليه!

- لِمَ؟!!

- لقد أنهيتك يا (إنتير) عن الجدال مراتٍ عديدة.

والنفس الطامعة ليس من اليسير أن تتنازل عما تمتلكه، فإنه قد فعل ما فعله لأجل عرشه..

أجاب (إنتير):

- إنني أنفذ كل ما تريد، لكني لا أعلم لماذا تُريد أن أترك عرشي!

قهقه (بنكيران) ثم قال:

- إن طبيعتك البشرية دومًا تتغلب عليك، فالبشر طبيعتهم الجدال والخلاف.. عن أي عرشٍ تتحدث؟!

- لكن هذا عرشي، وتلك المدينة أنا أميرها، وأنت جئت كي تُساعدني فقط.

- في ذروتك أعطيتك ما تريد، والآن نحتاج إلى دمٍ جديد يُضخ.

صاح (إنتير) قائلًا:

- وأنا لن أترك عرشي.

- عُد إلى رشدك يا (إنتير) فبدوني لن تقدر على فعل أي شيء.

- سأقوم بإخبار الناس بحقيقتك الشيطانية، سأجعلهم ينقلبون عليك، سأتحرر منك ومن شرك.

- افعل ما بوسعك، فلم يعد بإمكانك فعل أي شيء، ألا ترى أنني قد ملكت كل شيءٍ حتى نفوسكم؟!

- قد أغويتنا بخداعك، واليوم سأفضح أمرك.

ثم ركض (إنتير) مسرعًا نحو ساحة المدينة، وأخذ يصيح بالمارة قائلًا:

- أيها الناس هلموا، فلقد جئتُ إليكم بأمرٍ مهم، يجب عليكم معرفته.

فاجتمع الناس حوله متسائلين: ماذا بك يا أمير؟! ماذا هناك يا أمير البلاد؟!

صاح بهم قائلًا:

- إن ذلك العراف العجوز ليس بعراف، إنه كاذب ومُخادع، جمرة من جهنم، جاء يلتهم نفوسنا وعقولنا وقلوبنا وأموالنا وكل ما نملكه، إنه شيطان اسمه (بنكيران) أقسم لكم على أنه شيطان، لقد رأيته بأم عيني، حاول أن يغويني لكني قد علمت أمره منذ البداية وجئت أحذركم، احذروا يا شعبي من هذا العدو اللئيم.

ثم ظهر صوت وسط الزحام قائلًا:

- الآن تقول شعبي، وأين شعبك هذا وقتما كنت تسرقه وتنهبه وتُدمر كل ما يمتلكه؟ الآن جئت لتحتمي بِنا أم أنها خدعة جديدة من خداعك يا أمير؟ قد خابت آمالك تلك المرة، فلم نعد نملك شيئًا كي

نفقده، فلقد سَلبت مِنا أموالنا وأراضينا وبيوتنا وغدونا مُشردين لا نملك شيئًا.

- لا، لا يا قوم، لست أخدعكم، لكن جئت كي أنبهكم وأحذركم.

ثم ظهر صوت آخر يقول:

- إن هذا الذي تتحدث عنه قد حمى أجسادنا العارية من البرد القارس، قد جعل نساءنا تنجب لنا الذكور، كل سائلٍ ذهب إليه، حقق له مُراده، إنه من قدم لنا يد العون ونحن تعودنا ألا نرد معروف أحد بينما أنت كنت تُسيء لنا في كل خطوةٍ تخطوها، تركتنا جوعى بينما تملأ مائدتك بما لذ وطاب، لم تعدل يا أمير، وهذا العراف بُعث من السماء حتى يعيننا عليك، كنت تفرض الضرائب، أما هو فكان يُعطي بغير مُقابل دون انتظار أجر نظير إعطائه، تبًّا لك ولمن ولاك علينا.

- حسنًا، أصبحت أنا الآن الظالم الأشر، إذًا أين كنتم من بطشي؟ لمَ لم تثوروا أو تعترضوا أو حتى ترفضوا تلك الضرائب التي تُفرض عليكم؟! لست وحدي الذي أجرم بحقكم، أنتم أيضًا قد أجرمتم بحق أنفسكم، بصمتكم طوال هذه السنوات.

- لكنهم كانوا ضعافًا، وأنت تملك القوة.

(قالها ذلك العراف العجوز وهو يسير بين الزحام).

أجاب (إنتير):

- ها قد أتى الكاذب اللعين، انزع ذلك الثوب ليروا حقيقتك النارية.

- لِمَ تفعل هذا يا أمير، لِمَ؟!

- كم أنت مُخادع! تحاول أن تخدعهم مرةً أخرى، لا يا (بنكيران) وحدي من يعلم حقيقتك، أخبرهم أين زوجتي وطفلتي؟

- أتسألني أنا يا أمير؟! أظن أنك الشخص الوحيد الذي يستطيع الإجابة.

الجميع ينظر إليهما، الزحام حولهما كدائرة، والجميع يقف في صمتٍ تام ثم أكمل العجوز قائلًا:

- تعلمون أنني عراف، أعلم ما تُخفيه نفوسكم وما تُخبئون وراء عيونكم، فلقد علمتُ أن الأمير (إنتير) قد تخلص من زوجته وطفلته، وقام بقتلهما خوفًا من أن يرثا الحكم، فذهبت لأواجهه، صاح بي ودفعني، وأخبرني أنه سيلقي بي في سجنه، لكني لم أجزع ولم أتراجع، فقرر أن يختلق تلك المهاترات كي تنقلبون عليّ، ويقوم بقتلي أنا الآخر أو نفيي خارج المدينة.

فزع (إنتير) قائلًا:

- كاذب، أقسم لكم على أنه كاذب، سأريكم أنه يختبئ وراء ذلك الجسد شيطان.

هرول حيث يقف العجوز، وانقض عليه مُحاولًا نزع وجهه بأصابعه، لكن هجومه لم يكن في صالحه، فلقد انهالت عليه نِعال العامة وأخذوا يضربونه على رأسه حتى صاح بهم العجوز قائلًا:

- اتركوه، اتركوه.

وحاول أن يُخلصه من بين أيديهم ثم نظر إلى (إنتير) قائلًا:

- أتحاول قتل عجوز مسكين مثلي؟! سأترك الأمر للناس، هم وحدهم من يحددون ما سنفعل بك.

صاح الجميع، بعضهم قال: يُقتل.

والبعض الآخر قال: تُقطع رأسه حتى يكون عبرة لمن يعتبر.

فاقترب العجوز من (إنتير) ثم همهم قائلًا:

- أعطيتك ما تُريد، ولكنك لم تخش عذابي، لقد عصيتني، فلك الذل والعذاب المُهين، فهنيئًا لك عذابي.

وابتسم ابتسامة المنتصر، وكاد أن يرحل، فتناول (إنتير) سيفه وحاول مُحاولةً أخرى لقتله، رفع سيفه وكاد أن ينزل به على رأسه، فتنحى العجوز جانبًا، وسقط (إنتير) على الأرض، فقال العجوز:

- يحاول قتلي مرةً أخرى أمامكم يا قوم.

ثم نظر إلى (إنتير) وأكمل:

- أتحاول قتلي مثلما فعلت بزوجتك وطفلتك؟ إنك لعين.

ثم أمر الحراس أن يقيدوه ويضعوه في السجن الليلة، وفي الصباح يأتوا به إلى الساحة كي ينفذ به ما يحكم به شعبه..

في صباح اليوم التالى، أتوا بـ (إنتير) إلى الساحة، وقد اجتمع الجميع، وفي آخرها قد نُصبت منصة الإعدام..

صعد العجوز إلى المنصة، وخطب قائلًا:

- اليوم الحكم لكم، إما أن تصفحوا عنه، وإما أن يُحاسب على جميع جرائمه التي فعلها بكم، لكنه لا بد أن يكون عِبرةً لكل من تسول له نفسه أن يُجرم بحق من تولى عليهم، ومن يظلم ومن يعيث بالأرض فسادًا.

فصاح الجميع:

- لن نصفح، فلتقطع رأسه.

فنظر إليه قائلًا:

- لستُ الآمر يا أمير، إن شعبك من أمر.

ثم أشار إلى الحرس أن يجلبوه، فصعد (إنتير) إلى درجات المنصة مُحملًا على أذرع الحراس، ذليلًا مسلوب القوة والحيلة، ما أصعب أن يقترب الإنسان من موته! فلقد ضمن له الحياة، ولكن (إنتير) لم يكن عاقلًا، وظن أن للحياة ضمانًا، وقبل أن توضع رأسه على العتبة، صاح قائلًا:

- أعلمُ أنني قد أخطأت بحق نفسي قبل أن أخطئ بحقكم، ولكن لا تُصدقوه، أقسم لكم بكل الأشياء التي يُقسم بها، أنه شيطان، وهو من أغواني، أقسم لكم.

بدأ (إنتير) يذرف الدموع ندمًا، ولكن هيهات!

ثم أشار العجوز للحراس مرةً أخرى، وقد قاموا بوضع رأسه على العتبة، ويداه مُقيدتان خلفه، جُهز كل شيء، الصمت يُخيم.. مال العجوز إلى (إنتير) قليلًا، وهمس في أذنه قائلًا:

- أريد أن تعلم أنني لن أخسر أبدًا، ولكنك خسرت منذ اليوم الذي وافقت فيه مُسايرتي، وهذا لن يكون عقابك الأخير.

ثم أخذ يربت على كتفه مُبتسمًا، الأعين تتطلع، والأنفاس تُكتم.. ثم أشار أخيرًا لينتهى كل شيء، وسقطت رأس (إنتير) من على المنصة..

ثم بعدها تعالت الزغاريد في جميع الأنحاء، وأخذ الجميع من نساء ورجال وشيوخ وأطفال يرقصون على دمائه.. لكن لم ينته الأمر بعد.. بعد مرور عدة ليالٍ على موت (إنتير) قام (بنكيران) بحرق المدينة بأكملها، فلقد أخذ منهم ما يريد، ولم يعد لديهم شيءٌ آخر ليسلبه، ومنذ ذلك الحين، وقد اختفت المدينة، ولم يسمع أحد عنها..

أرأيت كيف يتحكم (بنكيران) بالنفوس؟! إن قوته العظمى التي يستمدها من خلايا ضعفهم هي التي تجعله يُحركهم كقطعة الشطرنج، إن المشهد غدا مهيبًا، الناس يرقصون فرحًا ولا يعلمون ما ينتظرهم! لو ظهر من صفوفهم شخص واحد، يصدق ما قاله (إنتير).. لتبدل مصيرهم..

لنترك الأمر هنا، ونذهب كي نرى (مَلوذ).. أعلم أننا قد رأينا في هذه الليالي التي أمضيناها هنا عجبًا، ولكن إنني على يقين بأنه ما زال هناك أسرار، لم نعرفها بعد كما أعلم أن عقلك البشري المحدود لا يقدر على استيعاب هذه الأمور، أتشعر بالبرد؟

إذًا سألتف حول رقبتك لأُدفئها واترك لي عقلك وسأهدئ من روعه...

في ظلمة الليل البارد البهيم، ولم نعد نسمع غير صوت فحيحٍ حولنا، لا نعلم من أين يأتي، ننتقل.. وفجأةً فُتح أمامنا باب خشبي، وقفنا على عتبته نتطلع إلى (عارف) الذي كان يقوم بأداء طقوس عبادته، ها هي (مَلوذ) هي الأخرى، قد أتت وبدأت تسيرُ على أطراف أنامل قدميها، ونحن واقفين نُشاهد الأمر بصمتٍ مهيب ثم وصلت إلى حيث يُصلي (عارف) وقد وقفت أمامه مباشرةً ثم من حيث لا ندري، ظهر بجانبها، يمسك (بلطة) مصنوعة من لهيب جهنم، أظن أنك قد فهمت الأمر مثلنا، إن (مَلوذ) تُريد أن تتخلص من (عارف) ولكن هل ينتهي الأمر هكذا؟!

بينما كان يصلي (عارف) حدثت بداخله جلبة، كأنه شعر أن هناك شيئًا غريبًا، وهو ساجد على الأرض، قد شرد قليلًا ثم رأى ساحةً تضجُ بالزحام، أصوات البُكاء والأنين مُتعالية، و(عارف) يضع رأسه على عتبة، وهناك بجانبه آخر، يمسكُ بـ (بلطة) و(مَلوذ) تتوقف هناك في آخر الزحام ثم ترفع يديها مُعطية إشارة لذلك الذي يمسك بـ (البلطة) فيقوم بإنزالها على رأس (عارف) مباشرةً، فانتفض (عارف) من سجوده كأن لدغه ثعبان أو لُدغ من عقرب، وحاول أن يلتقط أنفاسه ثم ظل يستعيذ بربه من شر هذا الشرود وشر تلك الرؤية ثم دلفت (مَلوذ) وكأنها قد أتت الآن، رغم أنها كانت تقف وراءه قبل قليل.. وتساءلت:

- ما بك يا عزيزي؟!

- ما من شيء، إنني فقط قد شعرت ببعض الضيق.

- حسنًا، أأجلبُ لك كأسًا من الماء؟

- لا شُكرًا لكِ، إنني بخير الآن، سأكمل صلاتي، وبعدها سأجلس معكِ.

- أمن الضروري أن تُكمل صلاتك؟

نظر إليها في تعجبٍ ثم قال:

- ماذا؟!

- أعني أنك قد أمضيت عمرك، تؤدي صلاتك وفروضًا قد أُجبرت عليها، وإنني أرى أن كل تلك الأمور لا فائدة لها، ما فائدة زُهدك وجلوسك طيلة الليل تُصلي؟ ما فائدة كل هذا؟!

- ما تلك المهاترات التي تقولينها؟!

- ماذا؟ إنني فقط أسألك عن بعض الأمور التي تشغل ذهني.

- إن طاعة الرب واجبة، ألا تعلمين هذا؟!

- وأين الطاعة في التعري والزهد والضعف والهوان والفقر والمرض؟ أتلك الأمور ستجعلك تتقرب من ربك؟!

- الرب وحده الغني والقوي، هو من يملك كل شيء.

- ولمَ لا تملك أنت الآخر؟

- إنني لا أريد شيئًا سوى رضا ربي فقط.

- وهذه الأمور سترضيه! عجبتُ لأمرك!

- ماذا بكِ يا (مَلوذ)؟ انتظري، إنني لم أسمعك قط منذ أن جئتِ إلى هُنا تتحدثين عن الرب أو تؤدين الصلاة أو تفعلين أي شيءٍ من القرابين!

- ولمَ أفعل كل تلك الأمور؟ إنني لست بحاجةٍ لأن يمن عليّ من يسكن السماء دون أن نراه، إنني أملك القوة والجاه والمال، أملك كل شيء.

- من أين تملكين وقد ولى عهد أبيكِ؟ ليس من الضروري أن نراه، أشد أنواع العبادة أن تكوني مؤمنة بوجود من خلق كل هذا دون أن نراه.

- إن عهد أبي ما زال باقيًا، نحن لن نزول ولن نُمحى، إن الحياة لنا والنعيم وجد لنا، والقوة لنا وليست لغيرنا.

- أنتم! من الذين تتحدثين عنهم؟

اقتربت منه قليلًا ونظرت إلى عينيه مباشرةً ثم قامت بوضع يُمناها على أسفل رأسه وقالت:

- نحن من نملك كل شيء، نحن الذين قد خُلقنا بفعل الطبيعة، ونشأنا دون معاونة إله.

فابتعد (عارف) قليلًا، وقد ازداد شعور الريب بداخله ثم قال:

- إنني لم أفهم بعد! من أنتم؟

- سأخبرك بكل شيء، وهذا لأنني أُحبك وأريد أن تمضي معي، ولكن عدني أن نعيش معًا وأن تكون من معشرنا وفردًا جديدًا لقبائلنا وابنًا بارًّا لولينا.

- لن أعدك بأي شيءٍ قبل إخباري.

- وأنا لن أخبرك بأي شيءٍ قبل أن تعاهدني على ذلك.

أخذ يُفكر قليلًا فيما تقوله، شعر أن هناك أمرًا أشد وطأة، ويجب معرفته، فلم يكن يملك غير حيلة الخداع بأمر الهوى حتى تُصرح له بما في جوفها..

- حسنًا يا عزيزتي، أعدك بكل ما تُريدين.

فتنهدت هي الأخرى فرحة ثم بدأت تقص عليه كل شيءٍ بكل حماسة قائلة:

- إن أبي ليس (إنتير) وإنني قد جئتُ إليك بأمرٍ من مولاي، إما أن أضمك إلى صفوفنا وتكون واحدًا منا، وإما الإطاحة بك، لكني قد أحببتُك يا (عارف) ولا أطيقُ فراقك.

قاطعها قائلًا:

- ومن مولاكِ إذًا؟ والذي لا أفهمه، لمَ الإطاحة بي؟!

فأجابت قائلة:

- إنك العبد الصالح الذي يفعل كل الأشياء تقربًا لمن لا يراه باسم الإيمان، أرسلنا لك الكثير مِنا، ولكن جميع محاولاتهم قد باءت بفشلٍ ذريع ولم تخضع لنا.

فقاطعها مُجددًا قائلًا:

- وجئتِ لي أنتِ كي تحاولي الإيقاع بي بحجة الهوى، أليس كذلك؟!

فهرعت مُجيبة:

- لا، أقسم لك، لقد هويتك بعد أن رأيتك يا (عارف) صدقني، بعد أن اقتربتُ منك، بعد أن شعرت بأنك قد لمست روحي، لقد أشعلت ثورةً بفؤادي دون أن أود هذا.

- لم تُجيبيني، من مولاكِ؟ وما الخطة التي قد وضعتموها للإيقاع بي؟!

- مولاي يكون (بنكيران) الذي قام بإحراق مدينة سيمران بأكملها، وهو من أوقع بـ (إنتير).. قال بأن الرجل لا يسيطر عليه إلا امرأة حسناء، فبعثني إليك كي أجعلك تقع بغرامي، وهو يعلم أن سحرنا إن أصاب الفؤاد، فيسهل علينا تحريك المرء كما نشاء، ولكنني أنا من سقطت فريسة غرامك، وأخبرك بتلك الأمور الآن لأنني أريد أن تمضي معي، أريد ألا تتأذى أو ترحل، فلم يعد بوسعي تخيل لحظاتي القادمة من دونك، فلقد هويتك حد الجنون يا (عارف) وإن كان بوسعي الهروب منهم لهربنا إلى أي مكان، ولكني أعلم أنهم سيلحقون بِنا وأنا لم أتحمل خداعك أكثر، فلا بد أن تمضي معي يا (عارف) وسأضمن لك الحياة والنعيم والملك والجاه والقوة، وأضمن لنفسي بقاءك بجواري، دعك من هذا الضلال الذي أنت به.

- انتظري، أتقصدين (بنكيران) ذلك العراف العجوز؟!

- أتعرفه؟!

- ومن في جميع بقاع تلك الأرض لا يعرفه.

ثم بدأت المصابيح يخفت ضوؤها، واشتدت حرارة المكان حولهما ثم قالت (مَلوذ) بنبرةٍ منخفضة:

- إنه لقادم.

وفجأة من حيث لا ندري.. ظهر قائلًا:

- أخطأتِ، إنني هُنا.

شعرت (مَلوذ) بالهلع وابتعدت عن مكانها خطوةً ثم وقفوا يُحدقون ببعضهم البعض على هيئة مثلث.. (مَلوذ) كانت مُرتعبة بينما كان (عارف) ثابتًا، وكان ذلك العجوز مبتسمًا دون إيجاد أي داعٍ للابتسام ثم نظر إليها قائلًا:

- إن هذا الأمر الذي قد فعلتِه، لم نتفق عليه، لقد علم (عارف) بأمرنا، والآن وبعد الآن كان سيُخير بين أن ينضم لنا أو ينال عذابنا.

ثم اتجه بالنظر إلى (عارف) وعيناه قد كساهما الدماء، فأجابه قائلًا:

- ولمَ حسبت أنني سأختاركم؟!

ضحك العجوز بينما يدور حول (عارف) مُجيبًا:

- لقد رأينا استجابة منك لحيلنا مذ البداية، أرسلتُ لك (مَلوذ) وأخبرتك بأنها الابنة الوحيدة لـ (إنتير) وقد نفخت فيكَ سحرها، فصدقتها، وإن لم تكن تحت سطوةِ سحرها، لعلمت أن جميع البلاد قد علمت أن (إنتير) قتل زوجته وطفلته بعد ولادتها بشهورٍ معدودة ثم بعدها خدعتك عندما أخبرتك بأن هُناك من سيطر على المدينة، وأنهم سيأتون

بجيشٍ كي يستولوا على تلك القرية، وقمت بتجهيز العتاد والجنود ونحن لم يكن يشغلنا أمر تلك القرية الفقيرة النائية، ولكن مُعضلتنا كانت أنت.

- أنا كنت مُعضلة لكم؟!

- نعم، فقد أرسلنا لك الكثير من رُسلنا كي يجعلوك تنجرف وراءنا، لكنك كنت كالحصن المنيع الذي لم يستطيعوا اجتيازه، ولكن الأمر كان يسيرًا على امرأة حسناء جميلة كـ (مَلوذ).

- ولكنك تعلم أنني لن أفعل هذا.

- ولِمَ لا؟ أخبرني بالمكاسب التي قد حصلت عليها من زُهدك هذا وطاعتك!

- يكفي أنني أشعر بأن إلهي راضيًا عني، والمكاسب إن لم تأتِ الآن، ستأتي حتمًا.

- أي مكاسبٍ تلك؟ أتقصد الجنة؟ أرأيتها؟! أرأيت ما ستحظى به إثر تقواك تلك؟

- إيماني بهم شديد حتى وإن لم أرهم، فوعد الرب حق، وأنت أعلم الخلق بذلك.

أمسك العجوز كتف (عارف) اليسرى، وأكمل الحديث مُجيبًا:

- يا فتى، من أخبرك بأنني لا أومن بالإله؟! إنني فقط أجلب لكم الخيرات وأجعلكم ترونها بأم أعينكم بدلًا من انتظار هذا الذي لن ينفعكم.

- سينفعنا لكن أنت من لا نفع له بل لن يأتي منكَ سوى الضرر.

- يا (عارف) إن أباكم (آدم) سمع بكلمتي له، وفعل بها، أما أنتم تعتقدون أني كاذب، خسئتم!

- لا تحاول خداعي يا (بنكيران) فهذه المراوغات لن تُفيدك.

- وأيضًا تقواكَ لن تُفيدك أنت الأخير.

ثم حاولت أن تتدخل (مَلوذ) كي تزيد محاولات التأثير على (عارف) قائلة:

- (عارف).. إن أبي يقدم لك النعيم على صحنٍ من الذهب، وتلك فرصتك بالفوز بكل تلك المكاسب التي نقدمها لك بين يديك.

- وبعد الفوز بتلك المكاسب، ماذا سيحدث بعد؟!

فأجابه العجوز:

- سترى النعيم وتنعم بكل ما يُتاح لك، سنُسخر لك المال والجاه والمُلك والملذات والقوى وكل ما مُنع عنك، فإن جنتك ستدخلها وتتمتع بنعيمها دون بذل أي مجهودٍ أو انتظار، يهدر عمرك من دون جدوى.

- ولكني أتمتع بالنعيم حقًّا، ولستُ بحاجةٍ إلى جنتكم تلك.

صاح (بنكيران) قائلًا:

- أي نعيمٍ هذا؟! انظر حولك، أين الحرير والموائد المليئة بأشهى الأطعمة، والخزائن التي تضج بالذهب والياقوت والدنانير؟ أين الجواري والقصور والملابس المرصعة اللامعة التي تُدفئك؟! أين القوة؟ أخبرني أين نعيمك هذا؟

- نعيمي أنت جاهل به، ولو حاولت أن أحدثك عنه، فلن تحاول بذهنك المظلم أن تفهمه، أنت لن تعرف عن تلك الأمور شيئًا، لكن ما أعلمه وما علمني إياه ربي، أنك منذ أن خُلق الخلق وأنت عدونا المُتربص، ولن أتركك تحظى بتلك الفرصة، وتقنعني بما لا أقتنع به ولا تقبله شريعتي وطاعتي.

- عاااارف.. إن لم تخضع لطاعتي، فلن تنعم بعد الآن، ولن تحظى بلحظةٍ آخرى بحياتك.

هرعت (مَلوذ) راجية (بنكيران) في تذللٍ قائلة:

- أرجوك يا سيدي، أرجوك ألا تلحق به الأذى، اتركه لي، اجعله أسيرك حتى إن أردت، ولكن لا تحرمني رؤيته.

فجذبها (بنكيران) إليه بشدةٍ وقال:

- حذرتُكِ من قبل، نحن لا نعرف دربًا للهوى، فمن يعصي أمري ولا يلتزم بأوامري، يُحرق.. لن يكون له وجود أبدًا.

- أعلم، ولكن قد حدث دون إرادتي، عذبه حتى يخضع لكن دون أن تفنيه، أرجوك.. أتوسل إليك.

فقاطعها (عارف) قائلًا:

- ومن أخبرك أنني سأخضع مهما حاولت تعذيبي، إن قوة ربي أشد وأعظم من تلك القوة التي تتمتعون بها، أنتم الضعفاء لستُ أنا، أنا معي ربي وأحتمي به لكن أنتم من معكم؟ تختبئون وراء شروركم وهيئتكم المُخيفة،

أنتم مُجرد طيف لا حيلة لكم ولا قوة، وإن أفسدتم الأرض، فلا تحسبون إلهي غافلًا عما تفعلون بأرضه المقدسة التي دنستموها بخبثكم وخداعكم وسيطرتكم على النفوس الضعيفة.

فهرولت صوبه قائلة:

- (عارف).. أتوسل إليك، اخضع، أريد الاحتفاظ بك، فأنت لا تعرف غضبه.

- أتريدين أن أخضع لغير ربي، إنكِ حقًّا شيطانة لعينة، هيا انزعي عنك ذلك الجسد وهذا الوجه الحسن الذي لا تستحقينه، وأريني هيئتك الشيطانية.

فتدخل (بنكيران) قائلًا:

- إنني أود الفوز بك يا (عارف).. ماذا تريد؟ سألبي لك كل ما تطلب.

- مهما حاولت خداعي، فلن أنحني ولن أخضع لغير إلهي.

ثم عاد (بنكيران) مُجيبًا بنبرةٍ يملؤها الوعيد قائلًا:

- حسنًا يا (عارف) فلا تلم غير نفسك على رفضك هذا.

ضحك (عارف) قائلًا:

- لن تستطيع فعل شيءٍ مهما حاولت إخافتي.

فتخلص (بنكيران) من هيئة العجوز، وعاد إلى هيئته الموحشة، الوجه المظلم، الجسد الذي لم يكن بجسد، عاد إلى طبيعته الشيطانية الملعونة، وقد اتسعتا عينا (عارف) لوهلة، يُحدق بتلك الهيئة التي لم يصل إليها في مُخيلته مهما حاول تخيله، فتحول (بنكيران) إلى ثُعبان بشع غليظ حد السواد، ذي عينين مُلتهبتين غاضبتين كأنهما من أقصى بقاع جهنم، أما عينا (عارف) المُتسعتين غدا يملؤهما الغضب، حاول أن يستعيد ثباته بعد أن اهتز جسده من هول ما يراه، تحفزت عضلاته الغاضبة ثم هجم على ذلك الثعبان البشع هجمة ثائرة، كان عراك شديد الفظاعة، أخذ الثعبان يطلق ناره على (عارف) وظل يُهاجمه بشراسة حتى سقط أرضًا، وعندما سقط (عارف) على الأرضِ، رفع الثعبان مؤخرة جسده محاولًا أن ينزل بها على رأس (عارف) لكن قد نجا بنفسه وابتعد خطوةً، فنزلت الضربة على الأرض ثم نهض (عارف) وقال:

- لن تفلح في قتلي، فالعون عون الرب، والقوة قوة الإله، وسينجينا رب السماء.

وظل يُردد تلك الكلمات ثم أخذ سيفه وضرب بقوة عون الإله.

"العون عون الرب، والقوة قوة الإله، وسينجينا رب السماء."

وكلما رفع (عارف) سيفه بضربةٍ، تضاءل حجم الثعبان.

"إن معي قوة ربي، وأنت معك لعنته، العون عون الرب، والقوة قوة الإله، وسينجينا رب السماء."

النيران حول (عارف) لكنه لم يتراجع عن مُهاجمته أو مبارزته بعون خالقه، وكلما تقوى (عارف) ضعفت قوى الثعبان، واستمرت جولة العراك من دون أن يخر (عارف) أو يضعف أو يُهزم..

"العون عون الرب، والقوة قوة الإله، وسينجينا رب السماء."

النيران حوله تلتهب لكنها لم تمسه، وكأنه لم يكن شاعرًا بها، أخذ يضرب ويتعارك حتى ضعف وتضاءل حجم الثعبان وأصبح بمثابة حجم ذراع طفلٍ صغيرٍ، فكرر (عارف) تلك الكلمات بصلابة وبطش شديد..

"العون عون الرب، والقوة قوة الإله، وسينجينا رب السماء."

فر الثعبان هاربًا حتى اختفى عن نظر (عارف) وبعدها بدأت النيران تهدأ حتى انطفأت، والحر الشديد الذي قد فعلته النيران، تحول إلى نسائم باردة يملؤها العبير، فظل ينظر (عارف) حوله ملتقطًا أنفاسه بشكلٍ هيستريٍّ، فلم يجد أي أثرٍ لـ (مَلوذ، أو بنكيران) ولا يعلم إلى أين ذهبت مَلوذ! وكأنه لم يلاحظ وجودها منذ بداية العراك، وكأنها قد تبخرت من حيث لا يدري ولا يشعر، بعد أن اطمأن للوضع حوله، ترك السيف فسقط بجانب قدمه التي كساها الدماء، وتطلع إلى السماء، فوجدها مُقمرة والنجوم ساطعة بها وبريقها يجعلك مولعًا بالتحدق بها، وكأنها تُخبره بأنها راضية، وأن الرب قد صدق في وعده لكل من آمن به متمثلًا في (عارف) فخر على ركبتيه وأجهش بالبكاء وضحك في آنٍ واحد، ظل في جلسته ولم يعتدل، شكر ربه على ذلك العون وتلك القوة التي بثها به حتى ينتصر على ذلك اللعين الأشر، العون كان عون الإله، والنصر كان للخير..

منذ ذلك الحين، ولم تعد قرية (عارف) فقيرة، لقد انتهى كل شيء، انتهى الجوع والفقر والمرض، زال الخوف من كل شيءٍ وحل الصلاح بدلًا من الخراب، وازدادت نفوس أهلها تقوى وإيمانًا بالخالق، وازداد إيمان (عارف) وتقواه وتعلقه الشديد بمن يسكن السماء، وأخذ يُحصن قريته وأهلها من أي عدوٍّ، يطرأ عليها في غفلة، ليس بالعتاد والجنود فقط بل بالإيمان والتقوى، وأن العون عون الرب، والقوة قوة الإله، وسينجينا رب السماء، تحصنت القرية بحصنٍ منيع يصعب على أي ناريٍّ أو شر اجتيازه، عم السلام ونعم الجميع في حمى الرب، وهنا قد انتهت رحلتنا، ويجب علينا العودة إذًا..

جسدٌ مستلقٍ على فراش أحد الأسِره في أحد المستشفيات ذي القطاع الخاص، الغُرفة بها أناس، منهم من يجلس على سجادة الصلاة، ومنهم من يتلو بعض الآيات، ومنهم من ينتظر بصيص الأمل حتى وإن كان ضعيفًا، وأجهزة طبية حول الفراش مُتصلة بذاك الجسد المُمدد الذي لا حيلة له ولا قوة، تُعطي إشارات إلكترونية، تشير إلى وجود الشخص على قيد الحياة أو أن روحه قد فارقته، لكن مريضنا هذا ما زال على قيد الحياة، فالحالة إلى الآن مُستقرة، ولكن لم يطرأ عليها أي جديدٍ بعد، طرق أحدهم الباب ليستأذن بالدخول، إنه الطبيب وبصحبته ممرضته، قد أتى ليطمئن على حالة المريض، إنها غيبوبة استمرت لمدة ثلاثين يومًا، ولم يستفق بعد، أمسك الطبيب بالكشف اليومي الذي تقوم الممرضة بتدوينه كلما مرت تفحص المريض كي يرى ما وصلت إليه الحالة اليوم، وبينما كان يُعاين هذا الكشف، بدأ المريض بتحريك أصابع يده اليمنى ببطءٍ شديد،

فلاحظت الممرضة هذا الأمر بينما تضع له المحلول، وفي اللحظة ذاتها، نبهت الطبيب المعالج، فانتظر وأخذ ينظر إلى يده، فوجده يُحرك بالفعل أصابعه، تناول ذلك الكشاف الصغير، وقام بفتح عينيه، فوجد مُقلتيه تتحركان بالفعل، إنه يحاول أن يستفيق، بعد ثلاثين يومًا، بمعدل سبعمائة وعشرين ساعة، بعدد دقائقٍ وثوانٍ، يصعب حسابها، هرول جميع من بالغرفة نحو الفراش فرحين بهذا التقدم بأنفاسٍ مكتومة منتظرة ما سيطرأ..

قال الطبيب:

- (يحيى).. (يحيى) انت سامعني، بص طيب لو سامعني، حاول ترفع إيدك الشمال شوية.

وبالفعل استجاب (يحيى) لطلب الطبيب، وقام برفع يده اليسرى قليلًا..

تحدثت (عوّد) قائلة:

- (يحيى).. (يحيى).. أنا ماما يا حبيبي، فتحلي عينك يا (يحيى) وقوم، يلا كفاياني وجع قلب عليك.

ثوانٍ معدودة قد مرت، والجميع يتطلع ومنتظر في صمتٍ تام ثم بدأ (يحيى) تدريجيًّا بفتح عينيه رويدًا رويدًا، وها قد فُتحت عيناه مُستجيبًا لرجاء والدته التي اعتصر قلبها لرؤية ابنها في تلك الحالة المزرية، الرؤية لم تتضح بعد أمام (يحيى) لكنها تتضح بشكلٍ بسيط، أخذ يتطلع، فوجد الطبيب بجانبه على الناحية اليسرى، وبجانبه (عوّد) ويليها (مينا) وبعده (فريدة) وبجانبها (توليب) ثم (حامد).. إنه (حامد)!! أغلق (يحيى) عينيه عدة مرات محاولًا

التمعن بالنظر أكثر.. أهو (حامد) حقًّا أم حلم أو خدعة جديدة؟! وعندما تأكد أنه (حامد) فعلًا الذي يراه بأم عينه، قال بهلع:

- بابا، إزاي؟! أنا دفنتك بإيدي! أنا فين؟ انت ازاي موجود هنا؟ هو أنا مُت ولا إيه؟!

فحاول الطبيب أن يُهدئ من روعه قائلًا:

- أرجوك يا (يحيى).. متصدرش أي انفعال لأنه غلط عليك، اهدا بس.. اهدا دلوقتي.

- أهدا ازاي؟! بقولك دفنته.. دفنته بإيدي امبارح.

فأجابت (عوّد):

- إمبارح إيه يا بني، انت في غيبوبة بقالك شهر.

- غيبوبة؟! غيبوبة إزاي؟! أنا كنت في الترب إمبارح، وبعدين روحت على باب النصر وفتحت الدولاب ولقيت ورقة، ورق.....، هي فين الورقة؟ كانت معايا!

تحدث الطبيب محاولًا فهم ما يقول:

- طيب ممكن تهدا وتحاول تفهمنا ورقة إيه؟

فنظر إلى (حامد) قائلًا:

- الورقة يا بابا، الورقة اللي موجودة في الدولاب هناك في بيتك في باب النصر.

- ورقة إيه يا (يحيى) ودولاب إيه وبيت إيه اللي في باب النصر يا بني؟ أنا مش فاهم!!

صاح (يحيى) قائلًا:

- دي حكاية جديدة مألفها إنت و(غريب) ولا إيه؟!

ثم نظر إلى (مينا) قائلًا:

- مش انت كنت معايا يا (مينا) وشوفت عم (غريب) والبيت! قوله يا (مينا) قوله إنك كنت معايا وشوفتهم.. قوله.

فنظر (مينا) إليه بحزنٍ، ولم يكن يعرف ما دهاه، فصاح (يحيى) قائلًا:

- في إيه يا (مينا)؟ ساكت ليه؟ ما تقوله.

أجاب (مينا):

- أيوة يا (يحيى) بس إزاي أقول حاجة معرفهاش ولا شوفتها؟!

اندهش (يحيى) وظل يُحدق بـ(مينا) ثم عاد قائلًا:

- دي حكاية جديدة، انتوا مطبخينها سوا، أنا عايز أخرج من هنا، أنا لازم أخرج من هنا.

أجاب الطبيب:

- يا (يحيى) اهدا، مينفعش اللي بتعمله، دا غلط على صحتك.

- اوعى من وشي، متمنعنيش.. أنا لازم أمشي، أنا مش عارف إيه أصلًا اللي جابني هنا، اوعى سيبني.

اشتد انفعال (يحيى) وإصراره على الذهاب، فأشار الطبيب إلى الممرضة لتقوم بجلب حقنة مُهدئة حتى يسهل السيطرة عليه، وإبان إعطائه تلك الحقنة، تراخت أعصابه تمامًا وخلد للنوم، فبدأ (حامد) الاستفسار من الطبيب عن حالته، وسؤاله عما إن كانت الغيبوبة قد أثرت على عقله.

فأجاب الطبيب قائلًا:

- لا يا أستاذ (حامد).. الغيبوبة متأثرش على دماغه بالشكل دا، ممكن يكون (يحيى) كان بيعاني من الوحدة أو من مشاكل نفسية خلت عقله يتهيأله الحاجات اللي بيحكيها دي ومصدق أنه عاشها فعلًا مع إن مخه بس هو اللي صورهاله لكنه ولا عاشها ولا أي حاجة.

فقاطعتهما (فريدة) قائلة:

- أيوة طيب المشكلة دي نحلها ازاي؟!

أجاب الطبيب:

- والله أنا بفضل إن (يحيى) يتعرض على دكتور نفسي.

ثم قالت (توليب):

- هو دخل في حالة نفسيه.. (يحيى) اتجنن يعني؟!

فأجابها الطبيب:

- مش معنى أنه يتعرض على دكتور نفسي، يبقى اتجنن يا آنسة، نفسية البني آدم مننا معقدة، وأنا كطبيب بشري مقدرش أفهم في حل

المشاكل النفسية، المجالات دي ليها ناسها، وليها متخصصينها، ودا ما يعنيش أبدًا إن (يحيى) اتجنن، يجوز إنه بيمر بأزمة نفسية مش جنان أبدًا.

تساءل (حامد):

- طيب يا دكتور، لو أمكن ترشحلنا حد كويس.

- تحت أمرك، المهم أنه هينام دلوقتي، وبعدين لما يفوق، حاولوا تتكلموا معاه بهدوء، يمكن تقدروا تفهموا حاجة، بس من غير ما يتعرض لأي انفعال.

- حاضر يا دكتور، شكرًا جزيلًا.

حين غادر الطبيب الغرفة، هاجمت (عوّد) (حامدًا) بتهكمٍ قائلة:

- كتب الدجل والشعوذة بتاعتك هي اللي عملت في (يحيى) كدا، قلتلك ألف مرة قبل كدا، ابعد كُتبك عن ولادي، أديك اتسجنت بسببها تلت سنين، وفي الآخر ابني كان بين الحياة والموت بسببها بردو.

- لو سمحتي يا (عود) أنا للمرة المليون بقولك إني متحبستش بسبب الكتب، أنا اتسجنت بسبب الديون اللي اتراكمت عليا.

- وهي اتراكمت عليك ليه؟! بسبب انك بقيت من غير لا شغل ولا مشغلة، لا عارف تسدد إيجار بيت ولا توفر أكل وشرب حتى، من سنين إهمالك لينا واهتمامك الزايد بالكتب خسرك بيتك، ودلوقتي كنت بسببها هتخسر ابنك.

فقاطعتهما (توليب) بغضبٍ قائلة:

- تفتكروا دا وقت مناسب للخناق؟ هتفضلوا كدا مفيش حاجة هتقدر تغيركوا.

فصمتا عن فقرة إلقاء الاتهامات تلك، وذهب الجميع متفرقين في أنحاء الغرفة..

حلّ الصمت وتعالت الأصوات بداخل الأذهان، حتى قطع (حامد) ذاك الصمت، وكأنه انتبه لشيءٍ قائلًا:

- (توليب).. انتي فاكرة الكتاب اللي قرأه (يحيى) دا؟!

- مش متذكرة أوي، أنا مشوفتهوش غير يوم ما تعب.

- طيب معلش ممكن تحكيلي كدا تاني.. إيه اللي حصل.

- مفيش.. يوم ما جالنا إخطار ان النيابة حجزت على شقة الدقي، كان (يحيى) يومها في كليته واتأخر، فرحت أنا وماما نستلم العفش والمستلزمات اللي هناك، جبنا العفش وحطيناه في أوضة فوق سطح عمارة تيتا لحد ما نشوف هنتصرف ازاي، بس كان في كراتين مليانة كتب، حطيناها في الشقة، ماما قالت إنها هتبيعها لأنها مبتحبش الكتب دي، فوقتها ركناهم جنب باب الشقة، يومها (يحيى) رجع البيت الساعة سبعة، ومكانش يعرف أي حاجة عن الحجز ولا الإخطار ولا أي حاجة، ولما دخل البيت ولقى الكراتين دي، سألني عنها، فقلتله إن عمي (حمزة) جابهم، وقال إن بابا كان سايبهم عنده، في الأول (يحيى) مهتمش، وبعد شوية مش عارفه ليه شغله فضوله وراح يقلب فيهم، أول كرتونتين كان فيهم كتب اقتصاد وطب وتاريخ وسياسة، إنما الكرتونة التالتة شغلت

فضوله أوي لحد ما لقى الكتاب دا وخده ودخل أوضته، وأنا كنت قاعدة بذاكر بعد حوالي ساعة مش فاكرة، سمعت خبط جامد في أوضته، جريت عليه لقيت الأوضة متبهدلة وفوقها تحتها زي ما يكون كان فيها خناقة فظيعة، ولقيت (يحيى) مرمي على الأرض جنب الدولاب، فصرخت وماما جات وجبناه هنا على طول.. بس.

فنظر (حامد) نحو (عود) سائلًا:

- الكراتين دي لسه موجودة؟!

- زي ما هم، ملحقتش أتصرف فيهم.

- والكتاب اللي كان مع (يحيى)؟!

- لأ دا مش فاكره هو فين.

فبعدها أشار لـ (مينا) أن يهم من مجلسه.

- تعالى معايا يا (مينا).. فين المفتاح؟!

أعطته (عوّد) مفتاح المنزل، واتجها مُسرعين إلى (جاردن سيتي)..

****

لحظات تمضي، سمعت على باب الغرفة طرقات معدودة، أحدهم دلف من دون أن يأذن له أحد..

خطوات مُتحسسة تقترب من الفراش رويدًا رويدًا ثم شعر بصوتٍ يناديه:

- (يحيى).. قوم يا (يحيى).. انت كنت مستنيني وأنا جيتلك.

سمع (يحيى) الصوت وأصدر في الحال أمرًا لجميع حواسه أن تستفيق، وعندما رفع نظره إلى حيث يأتي الصوت، وجده (غريب).. العجوز (غريب)!!

سأله (يحيى):

- إنت! انت ايه اللي جابك هنا؟!!

- أنا أجي في أي حتة أنا عايزها وقت ما أحب.

- امشي، امشي أنا مش عايز أشوفك، امشي.

- وطي صوتك، أمك وأختك وحبيبتك نايمين، ميصحش نقلقهم.

- عايز مني إيه تاني؟ دخلتني في متاهات معرفتش أخرج منها، خلتني مش عارف أميز أنا دلوقتي في حلم ولا حقيقة، أبويا اللي دفنته بإيدي وطلع حي، حلم ولا حقيقة؟ مبقتش عارف أفهم، أنا في واقع ولا في وهم! أنا مش عايزك تاني، ابعد عني.. ابعد.

- انت معوزتنيش أولاني عشان تعوزني تاني، وغير إني مقدرش أبعد لأني مُجبر إني ألازمك، أنا جزء من حياتك وعايش معاك فيها بكل حذافيرها.

- عايش معايا إيه؟ انت غريب.. أنا معرفكش!

- لأ انت عارفني كويس أوي زي مانا عارفك كويس، قدرت أتحكم فيك من غير ما تدرى، أنا اللي خليتك تروح تفتش في الكراتين

وتطلع الكتاب وتقراه، وأنا اللي سجنت أبوك ومخلتكش تعرف توصل لمعلومة واحدة تعرفك إنه مسجون، أنا أقدر أتحكم في كل ذرة فيك.

- انت شيطان، أنا لازم أخلص منك لازم.

- ومين قالك إنك تقدر تخلص مني؟! مين قالك إنك بتكلمني فعلًا وشايفني وإن دي مش تهيؤات؟! أهلك فاكرينك مجنون دلوقتي.

- انت بتعمل فيا ليه كدا؟ حرام عليك.. ابعد عني.

فصرخ (غريب) قائلًا:

- فاكر زمان أوي من سنين.. أيام كان عندك عشر سنين.. فاكر؟ اليوم اللي (حامد) رجع البيت من غير ما يجيبلكوا الحلويات اللي بتستنوها من الأب الحنون، كان معاه كتاب، فاكره يا (يحيى) فاكره؟ فاكر انت يومها عملت ايه يا (يحيى) فاكر؟!

- لا مش فاكر.. مش فاكر.

- لا يا (يحيى) متزعلنيش، حاول تفتكر.

- ك.. كان في الكتاب بتاع (حامد) مكتوب إني غضبت ودخلت أوضتي.

- هاهاهاها، دا مش كتاب بابا يا (يحيى).. (حامد) مكتبهوش أصلًا، ولا قرأ الكتاب اللي اشتراه مني، عارف ليه يا (يحيى)؟!

سأل (يحيى) باستهجان:

- لا ثانية، اشتراه منك؟

- دا مش موضوعنا دلوقتي، المهم قلتلي ليه يا عم (غريب).. هقولك ليه يا (يحيى) عشان انت بعد ما أبوك دخل ياخد الدش بتاعه، سحبت الكتاب من على السفرة وخبيته يا (يحيى) يومها وابوك يومها نسيه ومنتبهش إنه اختفى، ونسي أنه جاب كتاب معاه أصلًا، تاني يوم وانت رايح المدرسة، حطيته في شنطتك، ولما نزلت على آخر الشارع اللي كنت بتمشيه للمدرسة، انت وأختك، كان في زي مكان في زبالة، وقتها الناس كانت بتولع في الزبالة دي، فانت بكل غباء طلعت الكتاب من شنطتك ورميته في وسط النار، النار يا (يحيى) اللي أصابتك بلعنتها.

- يعني إيه؟ عايز تقولي ان اللي عشته دا كله وهم، مكانش حقيقة، طيب إزاي؟! أنا أصلًا مش فاكر اللي انت بتقوله دا ولا مصدقه، والأحلام اللي كنت بحلمها، وجثة (حامد) وباب النصر، والبيت وحضني لـ (فريدة).. كل دا كدب؟!

- كل دا أنا اللي رسمتهولك، كل دا أنا اللي خليتك تعيشه.

- انت كداب، كداب، اطلع برا.

- سهل جدًّا إني أخرج من الأوضة، بس مش سهل إنك تخرجني من حياتك ولا دماغك يا (يحيى).. أنا هفضل عايش معاك ومتفكرش إني هسيبك.

- برا بقولك اطلع برا، برااااا.

هرولت نحوه (عوّد) مسرعة ثم قالت:

- (يحيى).. فوق يا (يحيى).. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فوق يا بني.

استيقظ (يحيى) من نومه بهلع وأخذ يتطلع بوجه أمه، ويبحث بعينيه عن (غريب) في كل أنحاء الغرفة صارخًا قائلًا:

- خرجيه برا يا ماما، خرجيه.

- هو مين يا بني؟!

- الراجل اللي اسمه (غريب).

ثم قالت (فريدة):

- (غريب) مين يا (يحيى)؟! مفيش حد هنا غيرنا.

- انتي إيه اللي بتقوليه دا؟! دا كان لسه هنا، كان لسه واقف هنا!

أجابت (عوّد):

- وحد الله يا بني، والله ما في حد هنا غيري أنا و(توليب) و(فريدة) بس.

- إزاي بس يا ماما ازاي؟ والله كان لسه هنا.

قالت (توليب):

- أظن الوضع مبقاش ينفع يتسكت عليه، لازم نشوف دكتور.

- دكتور إيه يا ست (توليب).. أنا مش مجنون يا جماعة والله.. صدقوني.

تحدثت (عود) لتهدئ من روعه:

- طيب يا (يحيى) خلاص، حاول بس تهدا يا بني.

- صدقيني يا ماما، صدقيني.

- مصدقاك يا بني والله.

بعد تلك الجملة التي تلفظت بها (عوّد) مُقسمة على أنها تُصدقه، هدأ (يحيى)..

في تلك اللحظات، تكون بحاجةٍ إلى أحدٍ يُصدق ما تقوله، يُصدق أنك لست مجنونًا، والأم تعلم بصدق أولادها..

في جاردن سيتي..

دلفا (مينا) و(حامد) إلى الشقة، اتجه (حامد) مباشرةً إلى حيث توجد الكتب، وأخذ يُفتش بها، فهو يعلم جميع الكتب الخاصة به، بحث بينهم، وبالفعل اكتشف اختفاء كتابٍ، قد اشتراه قبل سجنه، ولم تتسن له الفرصة لقرءاته (كتاب طلاسمون).. أخبره الرجل الذي باع له هذا الكتاب أنه يتحدث عن الفارق بين الجن والشيطان والقرين، ولشغف (حامد) بمعرفة كل أسرار الكون والحياة وما بها من جميع المخلوقات، اشتراه لكنه لم يقرأه، ففهم أن هذا الكتاب هو الذي قرأه (يحيى).. اتجه نحو غرفة (يحيى) باحثًا عن ذاك الكتاب، بحث في أنحاء الغرفة لكنه لم يجده، فأخرج هاتفه المحمول من جيبه مُتصلًا بـ (توليب)..

- آلو.. (توليب).. حاولي تفتكري حطيتوا الكتاب فين.

- أنا مشوفتهوش يا بابا من وقت ما كان مع (يحيى) بس ثانيه أسأل ماما.

- ماما، انتي لما وضبتي أوضة (يحيى) بعد اليوم إياه، لقيتي فيها أي كُتب؟

- لأ مكانش موجود غير كتب الكلية.

- متأكدة يا ماما؟

- أيوة يا بنتي متأكدة.

فعاودت (توليب) التحدث إلى والدها قائلة:

- مفيش غير كتب الكلية بس اللي ماما لقيتها.

- أيوة بس إزاي؟! طيب حد خد من الكراتين أي كتب تاني؟

- لا يا بابا، مفيش غير الكتاب اللي خده (يحيى).

- طيب يا (توليب) خلاص.

- في إيه يا بابا؟

- هبقى أحكيلك بعدين، سلام.

وأغلق الاتصال بعدها ثم نظر إلى (مينا) قائلًا:

- إزاي الكتاب اختفى؟!

- طيب كتاب إيه يا أنكل؟ قولي يمكن أساعدك.

- الكتاب دا وراه حاجة يا (مينا) أنا مش عارفها.

- حاجة زي إيه طيب؟!

لم يجب (حامد) وشرد أثناء الحديث، فعاود (مينا) طرح السؤال مُجددًا..

- حاجة إيه يا أنكل، قولي؟!

- ها.... حاجة يا (مينا) مش عارف أفهمها، بص مفيش غير حد واحد هيقدر يساعدنا، تعالى معايا هنروح لحد جامع السلطان (حسن) وبعدها نطلع على المستشفى.

- هنعمل إيه هناك؟!

- هتعرف، بس يلا عشان نكسب وقت.

من المزعج أن تحدث معك أمور، لا تقوى على إيجاد تفسيرٍ لها، تُرضي به نفسك أو تقدم كأدلة لمن حولك، أغلب الأمور التي تحدث لك رغمًا عنك وتجعلك تُصدر أفعالًا عن غير عمد، يترجمها من حولك بأنها أشياء غير منطقية، كثيرًا ما ننزلق في بوتقة اللا تفسير لجميع أنواع الظواهر التي تحدث لنا، كثيرًا ما نُصاب بالجنون حقًّا لعدم إيجاد شيءٍ يثبت منطقيتنا، إن الأمر يتحول إلى مزيجٍ من الصخب الذي يتلاعب بذهنك، وبحثك عن تفسير، إن كان هذا حُلمًا، فكيف يمكنك أن تثبت عدم واقعيته؟ وإن كان واقعًا، فكيف ستثبت مصداقيته؟!

ما جئنا إلى تلك الحياة الدنيا إلا لنكون في كبدٍ مُستمر بمختلف أنواعه، ما هي إلا متاهة عُظمى لكنها مُنغلقة دومًا، ولا يعلم مخرجها إلا من صنعها...

بعد مرور أكثر من ساعة ونصف، عاد (حامد) و(مينا) وبصحبتهما شخص ثالث إلى المستشفى..

دلفوا جميعًا إلى الغُرفة، وألقى (حامد) ومن بصُحبته السلام على من بها.. ثم تحدث (حامد) ناظرًا إلى (يحيى) الذي كانت أسنانه تصطك من حدة التوتر الذي به:

- حمد لله على سلامتك يا بطل.

- الله يسلمك يا بابا، هو صحيح أنا طول الوقت بقولك يا بابا ولا يا (حامد)؟

- (حامد)؟! لا يا بني طول الوقت بتقولي يا بابا، ليه بتسأل؟!

- لا مفيش عادي.

فأومأ (حامد) ثم أشار بيده إلى ذاك الشخص قائلًا:

دا صاحبي، راجل محترم وطيب.. الشيخ (عبد الله) إمام جامع السلطان (حسن).

فأجاب الجميع: أهلًا وسهلًا.

ثم أكمل (حامد) قائلًا:

عرف بتعبك يا (يحيى) وصمم يجي معايا يطمن عليك.

أهلًا بحضرتك، مُتشكر على زيارتك.

لا شُكر على واجب يا بني، دانا قلبي اتخلع عليك أول ما عرفت والله.

هو حضرتك تعرفني؟ أقصد اتقابلنا قبل كدا؟!

إيه دا معقولة نسيت عمك الشيخ (عبد الله) يا (يحيى)!

الحقيقة أنا مش فاكر إني شوفتك قبل كدا، بس عادي مش مهم، مانا في حاجات كتير مبقتش عارفها.

لا تعرفني وختمت القرآن على إيدي كمان، ومكنتش بتفوتلي درس إلا وبتحضره.

دا أنا؟!

أيوة يا بني.

والله أنا متأسف بس أنا مش فاكر أي حاجة حضرتك بتقولها.

مش مهم، ممكن يكون بس نتيجة رقدتك، بُكرا بإذن الله تروق وتتعافى وترجع كل حاجة لطبيعتها.

أتمنى والله.

بإذن الله يا بني، خليك دائمًا مع الله وربنا هينجيك.

ونعم بالله.

فقاطعته (عوّد) لتسأل الشيخ:

- حضرتك تحب تشرب إيه؟!
- شُكرًا جزيلًا، مش عايز حاجة.
- لا والله ما ينفعش.

- والله لو عايز حاجة هقول، شكرًا.

فتدخل (حامد) في الحديث قائلًا:

- خلاص سيبيه على راحته يا أم (يحيى).

فعاد الشيخ (عبد الله) للتحدث مع (يحيى) مُجددًا قائلًا:

- طيب ما تحكيلي يا (يحيى) إيه سبب تعبك دا؟!

- والله أنا لحد دلوقتي مش عارف، هما بيقولوا إني في غيبوبة بقالي شهر، مش عارف إزاي وأنا إمبارح كنت في باب النصر!

- إمبارح؟! طيب وبتعمل إيه في باب النصر؟!

صمت (يحيى) ناظرًا إلى الجميع مُحدقًا بهم ثم عاد الشيخ سائلًا:

- إيه مش حابب تحكي؟!

- لأ مش الفكرة، أنا بس مش عارف أبدأ منين أو أحكي إيه، ومش عارف إذا كنت هتصدقوني ولا لأ!

- طيب ما تجرب تحكي الأول وبعدين شوف رد فعلنا.

فتنهد (يحيى) خاضعًا لإخبارهم وبدأ يقص عليهم ما حدث معه، منذ أن اختفى (حامد) إلى الورقة التي قرأها البارحة..

أحيانًا تحتاج أن تبوح بما تحمله بصدرك وتفصح عنه حتى يقل حِدة ما تحمله بداخلك، تتحدث وأنت على يقينٍ بأنه لن يُصدقك أحد لكنك بحاجةٍ إلى التحدث، حتى وإن لم يكن باستطاعة أحد مُساعدتك، فيكفيك أن تُشاركهم ما تعاني منه حتى من دون إيجاد نجاة..

بعد انتهاء (يحيى) من إخبارهم بكل ما عاشه وعانى منه، كانت تظهر على وجوههم ملامح العبث وبوادر عدم تصديق ما يقوله، ولكن لم يهتم وأكمل حتى انتهت حاجته للتحدث..

سأل الشيخ (عبد الله) قائلًا:

- يعني الست والدتك واختك وصاحبك وجدتك وحبيبتك وأبو صاحبك والشخص المريب دول كلهم عاشوا معاك كل الأيام دي؟!

- أيوة طبعًا مهو دا اللي هيجنني، هما إزاي مش فاكرين؟! بالذات (مينا) دا كان معايا خطوة بخطوة، وأنكل (عيسى) هو اللي بلغني بحوار المشرحة دا، وهو اللي قالي إن دا (حامد).

- طيب بما إن كلهم موجودين، تقدر تقولي فين جدتك؟!

- مش عارف، يمكن تكون في البيت، أصلها ست كبيرة.. حضرتك فاهم.

فتدخل (مينا) في الحديث قائلًا:

بس تيتا (عَليا) ماتت السنة اللي فاتت يا (يحيى).

نعم؟؟!! انت بتقول إيه؟ ماتت إزاي؟! والله العظيم أنا لسه شايفها من كام يوم.

أجاب الشيخ (عبد الله):

مصدقك يا (يحيى) مصدقك، اهدا بس عشان نعرف نتكلم.

أهدا إزاي؟ أنا كنت فين؟! يعني أنا كنت عايش حياتين، حياة عايشها فعلًا، وحياة مُغيب عنها.

بص يا بني، أبوك مامتش ودي حقيقة بدليل أنه واقف قدامك أهو صاغ سليم، هو بس اتسجن بسبب الديون، والإخطار اللي انت بتقول عليه دا، أختك ووالدتك اللي استلموه مش انت، وشقة الدقي اتحجز عليها من أول بداية سجن أبوك، يعني من أربع سنين فاتوا، وجدتك اتوفت السنة اللي فاتت، وأبو صاحبك زي ما عرفت وانت قلتلي أنه سافر كندا بقاله فترة، وأبوك مالهوش أي أملاك تاني ولا في باب النصر ولا غيره، وأدي أمك وأختك وصاحبك قدامك أهو وبيقولوا إن مفيش أي حاجة من دي حصلت.

حضرتك كمان هتكدبني، والله العظيم والله حصل كل اللي حكيتلك عليه، صدقني، أنا بس مش فاكر بعد ما قريت الورقة دي حصل إيه، ولا حتى فاكر الورقة كان فيها إيه! بس والله أنا مش مجنون، أنا دفنته بإيدي وأمي اضربت منها قلم، ولقيت مفاتيح وكُتب وورق وحضنت (فريدة) واعترفت لها بحبي، وكان معايا عكاز (غريب) دا، وأقدر كمان أوديك للقهوة اللي هناك وتسأل القهوجي إذا كان شافني ولا لأ.

أنا مصدقك من غير ما نسأل ولا نروح ولا نيجي، بس هما قدامك أهم، اسألهم عن كل دا.

فنظر إليهم (يحيى) مُنتظرًا إجابة، ولكن لم يجبه أحد، فطأطأ رأسه قليلًا في خيبةٍ قائلًا:

- والله حصل، أنا مبكدبش ولا اتجننت.

أجاب الشيخ (عبد الله):

- ومين قالك إنك بتكدب أو مجنون؟! بص يا (يحيى) اللي انت عيشته دا أكيد له تفسير علمي، أنا مقدرش أفتيلك فيه، بس اللي أقدر أقولهولك إن وساوس الشيطان وألاعيب الجان مش بيكون تأثيرهم بس على الناس اللي نفوسهم ضعيفة وإيمانهم ضعيف، لأ بالعكس أكتر الناس اللي بتتعرض للأمور دي، هما اللي عزيمتهم وإيمانهم شديد، وانت على حد معاشرتي ليك، شاب خير وعارف ربنا وتقي، والإنسان اللي زيك بيبقى أكثر الناس تعرضًا للأمور دي، اللي فهمته من (حامد) إنك لقيت كتاب في وسط كتبه، خدته قرأته واللي بسببه دخلت الغيبوبة اللي شوفت من خلالها كل اللي انت بتحكيه دا وعشته، مش على مدار سنين لأ، كل الأمور اللي انت شوفتها حصلت على مدار شهر، الشهر اللي دخلت فيه الغيبوبة بس لكن كل حاجة عشتها هي محصلتش، المخلوقات دي بتلعب في كيميا البني آدم مننا، ويجوز تدمره بس طبعًا كل شيء بأمر الله، ربك بيقول: "قل لن يُصيبنا إلا ما كتب الله لنا" الكتاب إلى قريته مكانش ينفع تقراه، مش كل الأمور ينفع نعلمها أو نطلع عليها لأنها ممكن تضرنا، ولو مكانش كدا كان ربنا سابلنا كل شيء معلوم ومباح، علاجك يا (يحيى) القرآن والصلاة والقرب الزايد من كنف ربك، حصن نفسك من كل الحاجات المُضرة ليك بالقرآن والأذكار والتسبيح عشان ربنا يحفظك من شياطين الإنس والجن يا بني.

- معنى كدا إني كان بيتهيألي؟!

- هو مش تهيؤ، هما صوروا ليك إن دي حياة فعلًا، حقيقة انت بتعيشها لكن هما دايمًا مخادعين حاقدين عليك، عايزين لك الضرر، وأديك شوفت بعينك الضرر اللي وصلتله لكن ربنا نجاك، لازم دايمًا تكون عارف أنهم بيكرهوك لأن مفيش حد بيحب حد هيأذيه، وانهم أعداؤك والأعداء بنأمن نفسنا من خبثهم ومكرهم، وأمانك وعلاجك هو القرآن، وربنا هو الشافي المعافي بأمر الله، اعرف دايمًا إن القرآن روشتة علاج إلهية، حاجة ببلاش كدا من عند ربنا.

- ونعم بالله.

- عليك بصورة البقرة دايمًا، دي هتحفظك بأمره، وحصن نفسك بالأذكار مرتين في اليوم، دي غير تحصينك خمس مرات في اليوم، وعليك بآية الكُرسي دي بتضعفه، واعرف دايمًا إنك مُفضل عنه، وأنك أحسن منه وإنه أضعف وأقل مما تتخيل، خوفنا بس اللي بيديله أكبر من حجمه.

- حاضر يا عم الشيخ، حاضر والله هنفذ كل اللي قلته.

- بإذن الله هتكون زي البومب وهستناك تيجي تحضر دروس زي الأول.

- أكيد إن شاء الله، تفتكر أروح لدكتور نفسي؟!

- ليه؟ انت زي الفل، امشي بس الأول على الروشتة اللي قلتلك عليها وخلي يقينك بالله قوي، وبإذن الله هتكون أحسن من الأول.

- كلامك ريحني والله.

- دا كلام ربك يا بني، عمومًا أنا مُضطر أستأذن دلوقتي والزيارة الجاية هتكون لما ترجع بيتك بألف خير.

- بإذن الله يا عم الشيخ.

هم الشيخ من مجلسه راحلًا، وذهب معه (يحيى) يصطحبه حتى يرحل، وقبل أن يذهب التفت إلى (يحيى) مُجددًا قائلًا:

- لو مقتنعتش بكلامي، دور على العُكاز، وإن لقيته يبقى انت صح وأنا غلط، وإن ملقتهوش يبقى انا صح وانت اللي غلط.

- لأ مش هدور، أنا ما صدقت ارتحت.

ابتسم له الشيخ ابتسامة راضية ثم ألقى السلام وذهب راحلًا...

*****

بعد مرور أسبوعٍ كامل، خرج (يحيى) من المستشفى، وقد بدأ يلتزم بكل ما أمره به الشيخ (عبد الله) فأصبح في حالةٍ نفسية وجسدية جيدة جدًّا، فدائمًا من يُهرول نحو الله، لا يرده خائبًا أبدًا، طُرق النجاة واضحة لكننا نغفل عنها دومًا، فإذا فكرنا لوهلة سنجد أن الهروب إلى الله هو الباب الأول والأهم والأعظم والأخير، النجاة من أي متاهة، نُوضع بها...

تعافى (يحيى) حقًّا لكنه لم يتخلص من آلام الرأس...

الكثير لا يعرف الفارق بين الشيطان والجان، الجميع مخلوقات الله، ولا يفعلون شيئًا إلا ويعلم به ربهم، إنهم لا يملكون قوةً أكثر من التي منحها إياهم، لكننا سنتحدث عنهم قليلًا..

فلكل مخلوقٍ منهم مهامه المُنفصلة التي يقوم بها مُختلفًا عن البقية رغم أنهم من الخلق نفسه، أما عن الشيطان، فهو موكل بتضليل البشر إلى يومٍ عظيم، ومهامه هي الضلال والوسوسة فقط، في تلك الأمور يُكرس حياته، ومنهم من يُسخر قواه للشر والفساد، وكلما زاد الفساد، زادت قوتهم..

أما عن الجان، فهو ينقسم إلى أنواع؛ وكل نوعٍ منهم يقوم بعملٍ مُنفصلٍ عن الآخر، ولكن الجان يمتلك خواصًّا مختلفة عن الشيطان، فإنه باستطاعته أن يتجسد في أشكال البشر أو الحيوان أو حتى الجماد، وحينها فإنه يقوم باكتساب بعض خواص تلك الأشياء التي قد تصور بها ووقتها، فإنه يخضع لأحكام طبيعتها، لذلك إذا أمكن فإنه مثلًا يُقتل كما يُقتل البشر أو الحيوان، ولكن الله أعلم مِنا بتلك الأمور، والجان يأكلون ويشربون ويتناسلون ويتناكحون حتى، ومنهم المُسلم والمسيحي واليهودي، وأيضًا منهم الكافر والعاصي، ومنهم من يتمتع بالذكاء والدهاء والغباء، ومنهم الصالح الذي لا يؤذي الإنس والجان، ومنهم أيضًا الفاسد الذي يضر بني جنسه وبني جنسنا، وهؤلاء منبوذون في عالمهم، يعيشون كعيشة المُجرمين المُطاردين في عالمنا، وأيضًا منهم العالم والطبيب والساحر والشيخ والمعلم والقوي والضعيف، كل ما تتخيله، فهو في عالمهم الذي تحكمه قوانينه الخاصة به، إنهم يشبهوننا إلى حدٍّ كبير، ولكن الفارق بيننا، أننا لا نعلم هيئتهم ولا نراهم، عكسهم تمامًا، فهم يعلمون هيئتنا..

فلدينا مثلًا الجان الذي يُسمى (المارد) والنار يُطلق على من تمرد منهم وخرج عن سرابهم، وهو من يمتلك القدرة التدخل إلى عالمنا، ويمتلك قدرة عظيمة للتأثير في عالم البشر وعالم الجن أيضًا.

ومنهم الجن (الطيار) هكذا اسمه، وهذا النوع يمتلك قدرات لا تمتلكها الأنواع الأخرى منهم..

يمتلك جناحين يطير بهما في السماء كالطيور، ولكن سرعته لا يمكن أن تُقاس بسرعة الطير، فهو يفوقه بمراحل كبيرة..

ولدينا أيضًا (الجاثوم) وهو نوع منهم يقوم بالتسلط على الإنسان أثناء النوم، ويُسيطر ويتحكم بمراكز المُخ لديه والحركة، فيشعر الإنسان بالشلل الذي لا يمكنه من الحركة والتكلم، أو حتى الصراخ..

وهُناك أيضًا (الغول) وهو من يتلون من بني الجان، أي يتلون في صورٍ شتى، وأيضًا شيطان يأكل الناس، وهو جنس من الجان والشياطين، يقوم بتضليل الناس عن طريق الصواب ويهلكهم أيضًا..

هذه الأنواع التي باستطاعتنا أن نعلمها، وقد تكون ذرة في بحور العلم بهم، ولكن ما يعلمه الله ويخفيه عنا أكثر وأعظم مما يمكن معرفته، والآن يا صديقي، باستطاعتك التمييز بينهم ومعرفة كل دورٍ يقوم به الآخر.. فقط يجب عليك أن تتذكر أنهم معك وحولك كظلك، لكن الظل يأتيه وقت ويختفي، وإنما هم يسيرون معك بالدرب ذاته الذي تسير فيه، مُلازمين لك...

يمكنهم السيطرة عليك من خلال شيءٍ مدفون بأعماقك، قد جعلوه ذريعة للدخول إليك، يتمسكون بشيءٍ تفقده، أو شيءٍ تعاني منه، أو مُعضلة تعاني منها في الماضي، لكن تحصينك بَين، والحلال والحرام بَين، ونجاتك بَينة، لذا فأنت مُخير في كل ما تختاره وكل ما تريده، وكل الطرق التي تُقرر أن تسير بها، لذا فلا تعلق أخطاءك – التي اقترفتها بحق نفسك أولًا وبحق من حولك – على مشاجبهم، فأنت من سمحت لكل الدواخل أن تُسيطر عليك..

أحيانًا هم من يتسببون في نشر الفوضى والفساد والشر بداخلك، لكن تحدث تلك الأفعال من بني البشر أصلًا، ممن لم يقترب منهم الشيطان لأنه لم يكن بحاجةٍ إلى أن يضلهم، فهم وحدهم من دون تدخل، مُضلين وفاسدين، فهم من يفرضون قوتهم على الضعيف، ويسرقون وينهبون ما ليس لهم بغير حق، من يسفكون الدماء، ويخرسون صوت الحق، ويقيدون الحرية ببطشهم، ويفسدون في الأرض والبر والبحر، إن القرآن والصلاة والعبادة هم سُبل التحصن من بني النار، إنما شياطين الإنس، لا نعلم كيف يمكننا التحصن منهم، لكني أعتقد أن المقاومة وعدم السماح لهم بإخماد صوت الحق، وعدم القبول لكل ما يفعلونه من فساد، تلك هي سُبل التحصين من شرورهم، إن الأرض والحياة والمال والجاه والسلطة، كلها لأشياء زائلة، ومن اغتصب سُلطةً أو سعى لأجل الجاه فقط، أو سرق ما ليس له، سيحتقره التاريخ، ومن ابتغى وجه الله فقط ولم يكن شيطانًا، فإنه سيُجزى من رب الخلق، ومن الخلق، ولن ينسى التاريخ مُثابرته ومقاومته لشرور وبطش شياطين بني الإنس.

لم يكن الشر مُتعلقًا فقط ببني النار بجميع طوائفهم..

إن الحياة لزائلة ولن يتبقى سوى أفعالك التي قد فعلتها وستُحاسب عليها منذ أن تصعد روحك إلى أعلى ويأتي اليوم الموعود، فتستعد جهنم لاستقبال الخائبين، وتُهلل الجنة باستقبال الفائزين، ووصيتي لك يا صديقي، أرجوك ألا تكن من الخائبين...

تمت بحمد الله وعونه